



جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مقرر الثقافة

(١٠١)

(العقيدة، العبادة، الأخلاق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

تعد هذه المذكرة مشروع كتاب مقرر مادة الثقافة الإسلامية (١٠١) على أن يتم تدريسها في الفصل الثاني من العام الدراسي ١٤٢٦ - ١٤٢٧ هـ وبعد أن تجمع الملحوظات حولها من مدرسي ومدرسات المواد ومن الطلاب والطالبات، وتشتمل على ثلاثة أبواب، الأول: العقيدة الإسلامية ومحاسنها، والثاني: العبادات في الإسلام ومحاسنها، والثالث: الأخلاق في الإسلام ومحاسنها؛ وقد سلطنا في كتابة المادة المنهج الآتي:

- تعريف الطالب بأهمية العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان في صورة ميسرة ومختصرة، وقد تم التركيز على شروح الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - لأركان الإيمان لتمييز شروحه بالسهولة والاختصار إلى جانب مزايا عدة.
 - التركيز على إبراز الجوانب الإيمانية والتربوية في دراسة أبواب العقيدة والعبادة والأخلاق.
 - إعطاء الطالب معارف جديدة وذلك ببيان لمحة موجزة عن عقيدة وعبادات الأديان السابقة للإسلام وما حدث فيها من تبديل وتحريف حتى يتسنى لنا رؤية محاسن الإسلام عند مقارنته بتلك الأديان.
 - البعد عن الإطالة والإطناب والإحالة إلى عدد من المراجع في كل موضوع لمن أراد الزيادة والتوسع.
 - وضع خطٍ تحت بعض العبارات لأهميتها في السياق، وقد تكون موضع الاختبارات الموضوعية كالفراغات.
 - تسليح الطالب بالأساليب والمناهج العلمية في الرد على شبهات الملحدين والطاعنين في الدين.
 - وقفات تربوية وإيمانية مختصرة في عدد من الموضوعات مع ترك المجال لأستاذ المادة في بسط الموضوع في هذا الجانب.
 - العمل على تسهيل عرض الموضوعات على الطلاب وذلك بعرضها في نقاط معدودة ليسهل دراستها وفهمها.
- هذه أبرز النقاط الأساسية في منهجية كتابة هذه المذكرة وقد تم فيها الالتزام بالنقاط الأساسية لمفردات منهج الثقافة الإسلامية المستوى الأول في أبواب العقيدة والعبادة والأخلاق.
- سائلين الله للجميع التوفيق والسداد والهداية والرشاد وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أبرز أهداف تدريس مادة الثقافة الإسلامية:

١. تعميق انتماء الطالب للإسلام، وربطه بكتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتبصيره بما في هذين المصدرين الرئيسيين من أصول القيم الخلقية والحضارية، وذلك من أجل تحصينه اعتقاداً وفكراً وسلوكاً من التيارات الفكرية المعارضة للإسلام.
٢. إبراز النظرة الشمولية للإسلام، بوصفه منهجاً شاملاً لجميع جوانب الحياة، أساسه التوحيد، والتخلص من النظرة الجزئية للإسلام التي تقصره على بعض جوانب الحياة.
٣. تجلية مواقف الإسلام من قضايا العصر، وخاصة في مجالات العلوم المختلفة وحركة الفكر ونظم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية..، ونقدها من المنظور الإسلامي.
٤. بيان تفوق الإسلام وتميزه على المذاهب الفكرية والأيدلوجيات في كافة شئون الحياة، وإظهار قدرته على تحقيق السعادة الإنسانية في مقابل إخفاق تلك المذاهب والأيدلوجيات.
٥. إعطاء الطالب صورة وافية عما صنعتته رسالة الإسلام العامة الشاملة في الحياة الإنسانية، من تحريرها للبشر من الوثنيات والخرافات، وإنقاذهم من التخلف الفكري والتفكك الاجتماعي.
٦. التعريف بخصائص الإسلام وعالميته.
٧. إظهار تفوق الإسلام كنظام حياة شامل على جميع المذاهب والمناهج والأديان في ذلك.
٨. إثارة العزة والكرامة في نفس المسلم لأنه يمتلك الدين الأكمل والمنهج الأفضل.
٩. تشخيص حال الأمة الإسلامية في مجالي الفكر والسلوك والحركة الحضارية، وبيان مواطن الخلل فيها ومنهج العلاج .

تعريف الثقافة:

لقد تعددت تعريفات كلمة الثقافة وتنوعت بحسب منطلقات وخلفيات قائلها، وسنورد المعنى اللغوي للثقافة ثم المعنى الاصطلاحي، مع بيان العلاقة بينهما، ونشير إلى الفرق بين التعريف الغربي والإسلامي للثقافة.

الثقافة لغة:

من الفعل الثلاثي تَقَفَ الشيءَ تَقْفًا، وتأتي للدلالة على معان متعددة، منها: الحذق، والفتنة، والذكاء، وسرعة التعلم وال ضبط، والظفر بالشيء^(١)، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: (فَاِمَّا تَتَّقِفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مِّنْ خَلْفَهُمْ) [الأنفال: ٥٧].

المعنى الاصطلاحي للثقافة:

مصطلح الثقافة كمادة دراسية مصطلح حادث بدأ مع المنتصف الثاني للقرن العشرين عندما أدخلت الجامعات العربية والإسلامية مادة الثقافة ومسار الثقافة كتخصص جامعي، يشمل مجموعة من المعارف الشرعية بصورة مختصرة، تُعطي تصوراً عاماً في العلوم الشرعية، كالعقيدة والفرق والفقهاء والحديث والتفسير، مع إبراز لمحاسن الإسلام والرد على التيارات الفكرية المنحرفة. وإذا كان هذا هو التعريف العام لمادة الثقافة الإسلامية فإننا نلقي الضوء على التعريف الاصطلاحي للثقافة في الفكر الغربي والإسلامي والفرق بينهما في التالي:

معنى الثقافة في المجتمعات الغربية:

وردت عدة تعريفات للثقافة في الفكر الغربي، ومن أشهرها ما يلي:
يعرفها العالم البريطاني تايلور بأنها: "ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"^(٢).
وقريباً من هذا التعريف ما ورد في تعريف منظمة اليونسكو في مؤتمرها الخاص بالثقافة، فقد جاء فيه: "الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"^(٣).
وإذا تأملنا مقتضيات التعريف الغربي للثقافة نجد أنه لا ينطلق من منطلقات شرعية، ولا يهتم بذكر مميزات تلك الثقافة بينما التعريف الخاص بالثقافة الإسلامية يحدد مميزات ومنطلقاتها ومصادرها، باعتبارها الوجهة النظرية السلوكية والمعرفية والتصورات الكلية عن الإسلام المستقاة من مصادر التشريع الإسلامي، ومن أبرز تلك التعريفات ما يلي:

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (ث ق ف) ١٩/٩.

(٢) عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص ١١٠ - ١١١.

(٣) همام سعيد، الوجيز في الثقافة الإسلامية، ص ١٠ - ١١.

المعنى الاصطلاحي للثقافة في الفكر الإسلامي:

يعرفها الدكتور صالح هندي بقوله: "طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات الحياة وفقاً لوجهة نظر الإسلام وتصوراتها، سواء في المجال المادي الذي يسمى بالمدنية، أو في المجال الروحي والفكري الذي يعرف بالحضارة"^(١).

ويعرفها رجب شهوان فيقول: "معرفة مقومات الدين الإسلامي بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات بصورة نقية مركزة"^(٢).

ويعرفها راشد شهوان بقوله: "علم دراسة التصورات الكلية والمستجدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بمنهجية شمولية مترابطة"^(٣).

وقريباً من هذا التعريف عرفها الدكتور عبدالرحمن الزنيدي بأنها: "علم كليات الإسلام في نظم الحياة كلها بترابطها"^(٤).

ونخلص من هذه التعريفات المتعددة بأن مادة الثقافة الإسلامية تحرص على إعطاء الطالب صورة شاملة عن الإسلام، مع معرفة التحديات المعاصرة ومواجهتها معرفة كلية شمولية.

وأما ما تختلف فيه الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى فهناك تباينات كبيرة في المصادر والمقومات والأهداف، فالثقافة الإسلامية تستمد كيانها من مصادر التشريع الإسلامي بينما تقوم الثقافة الغربية على استمداد مصادرها من الأفكار الوثنية والمادية والثقافات اليونانية والرومانية.

والثقافة الإسلامية مقاصدها شرعية تدور على تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ودرء المفساد، فتهدف إلى نشر العدل وإحقاق الحق، بينما الثقافة الغربية تهدف إلى استغلال الغني للفقير واستعباد الناس بعضهم بعضاً، واستعمار القوي للضعيف، وتغليب المصالح المادية على إحقاق العدل بين الناس^(٥).

وأما الحديث عن مصادر الثقافة الإسلامية: الكتاب والسنة، فترجى الحديث عنها إلى الكتاب الثاني من هذه المادة والذي جاء فيه الحديث عن مصادر التشريع الإسلامي مفصلاً؛ وإذا كانت الثقافة الإسلامية تستقي مصادرها من مصادر التشريع الإسلامي وتهدف إلى ما يهدف إليه التشريع الإسلامي من تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ودرء المفساد عنهم وإقامة العدل في المجتمع، لا شك بأنها تتميز بخصائص التشريع الإسلامي بصفة عامة، ومن ذلك: ريانية المصدر، وموافقة

(١) صالح هندي، الثقافة الإسلامية، ص ١٧.

(٢) ينظر: محمد أبو يحيى وزملاؤه، الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم تحديات العصر، ص ١٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١.

(٤) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية، مجلة جامعة الإمام، عدد ٢، محرم ١٤١٠ هـ، ص ١٩.

(٥) ينظر: محمود الخالدي، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، ٧٥/١.

الفطرة، والشمولية، والوسطية، والتوازن، والتكامل، والواقعية والتي تتميز بها عن سائر الثقافات الأخرى.

ونكتفي في هذه المقدمة بهذه اللمحة عن أهداف الثقافة الإسلامية ومقوماتها وخصائصها وتعريفها دون الخوض في التفاصيل الطويلة في التعريفات والمصطلحات، ونأتي مباشرة في الفصل القادم إلى التعريف بالعقيدة الإسلامية وبيان أركانها.

الباب الأول
العقيدة الإسلامية
وأركانها

مفهوم العقيدة الإسلامية

تعريف العقيدة لغة:

أصل العقيدة في اللغة من العقد: يستخدم في الأمور الحسية، فنقول عقد الحبل أي شده، وفي المعنوية: كعقد البيع، وعقد النكاح، ومادة (عقد) في اللغة مدارها على اللزوم والتأكيد والاستيثاق^(١)، وقد ورد أصلها اللغوي في القرآن الكريم، قال تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىْ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ) [المائدة: ٨٩].

وتعقيد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصد^(٢).

وفي الاصطلاح:

يعرف الشيخ ابن عثيمين الاعتقاد في الاصطلاح فيقول: "هو حكم الذهن الجازم؛ يقال اعتقدت كذا، يعني: جزمت به في قلبي، فهو حكم الذهن الجازم فإن طابق الواقع فصحيح، وإن خالف الواقع ففاسد؛ فاعتقادنا أن الله إله واحد صحيح، واعتقاد النصراني أن الله ثالث ثلاثة باطل، لأنه مخالف للواقع، ووجه ارتباطه بالمعنى اللغوي ظاهر؛ لأن هذا الذي حكم في قلبه على شيء ما كأنه عقده عليه وشده عليه، بحيث لا ينفلت منه"^(٣).

فالعقيدة هي الأمر الذي تصدق به النفس، ويطمئن إليه القلب، و يكون يقيناً عند صاحبه لا يمازجه شك، ولا يخالطه ريب^(٤).

فالعقيدة بهذا المعنى: الإيمان الجازم الذي لا يقبل الشك بالأمور التي يدين الإنسان بها، ويراد بالعقيدة الإسلامية: الإيمان بأركان الإيمان الستة الواردة في الكتاب والسنة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وتجدر الإشارة إلى بعض أسماء هذا العلم:

فيسمى عقيدة كما ورد في عدد من كتب السلف رحمهم الله تعالى: (كشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة)، لهبة الله اللالكائي، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية:

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقد)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ٣٨٣.

(٢) عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، ص ١١.

(٣) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين، ١/٥٠.

(٤) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٤٢٩.

(العقيدة الواسطية)، (والتدمرية)، (والحموية).
وجاء باسم التوحيد، وهي من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه، ومن
المصنفات بهذا المسمى: (التوحيد) لابن خزيمة، و(التوحيد) لابن منده، و(كتاب
التوحيد) لمحمد بن عبد الوهاب.
وجاء باسم الإيمان وقد وردت عدة مصنفات تحمل اسم (كتاب الإيمان) لكل
من: أبي عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وابن منده، وابن تيمية.
ويطلق على هذا العلم كذلك اسم: أصول الدين ككتاب: (الإبانة عن أصول
الديانة) لأبي الحسن الأشعري.
وإن تعدد هذه المسميات لهذا العلم ليبدل على شرف المسمى.

أهمية العقيدة و مكانة علم التوحيد

للعقيدة الإسلامية مكانة عظيمة وآثار جليلة على الفرد والمجتمع، و نشير إلى أهميتها و مكانة علم التوحيد في النقاط التالية:

١ - أنه العلم بالمألوه، العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده^(١).

٢ - وهو الأساس الذي يقوم عليه الدين ولا تصح الأعمال إلا إذا استقام كما قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠].

و عليه يتوقف قبول العمل أو رده، قال تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [الزمر: ٦٠].

٣ - وهو العلم والمقصد الذي أرسل الله به الرسل قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: ٣٦].

٤ - وهو سبب للأمن والهداية في الدنيا والآخرة قال تعالى: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ).

[الأنعام: ٨٢].

فمن أراد الله له الهداية وانشراح الصدر هداه إلى الإسلام وأصله التوحيد، قال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ١٢٥].

٥ - والإيمان بالله تعالى وتوحيده سكينة للنفس وانشراح للصدر وطمأنينة للقلب، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) [الفتح: ٤].

٦ - والتوحيد والإيمان بالله تعالى سبب لقوة القلب والثبات في الشدائد، قال تعالى: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) [التغابن: ١١].

وقال تعالى: (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: ٣٢].
و الإيمان بالله تعالى وتوحيده يثمر طمأنينة القلب وقناعته وعدم تعلقه بغيره.
ويطول عرض تلك المزايا والثمرات والآثار للعقيدة الإسلامية، ولعلنا نشير

(١) مجموع فتاوى العقيدة، للشيخ ابن عثيمين، ٩٩/٥.

إلى طائفة أخرى من تلك الآثار و الثمرات عند الحديث عن أركان الإيمان في مواطنها
- بإذن الله تعالى-
ولما كان هذا شأن التوحيد كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعليماً وتدبراً
واعتقاداً ليبنى دينه على أساس سليم واطمئنان وتسليم يسعد بثمراته ونتائجه.

أسس العقيدة وأركان الإيمان

الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، والعقيدة أساسها أركان الإيمان وقد دل على هذه الأسس والأركان كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: ١٧٧].

ومن كفر بها فقد خسر وضل ضلالاً بعيداً.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) [القمر: ٤٩ - ٥٠].

وحديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال ﷺ: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره" (١).

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم: (٨).

الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى هو: الاعتراف المستلزم للقبول والإذعان، أي الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وأنه هو الذي يستحق العبادة دون سواه وأن يفرد بها: من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها.

والإيمان بالله ﷻ يتضمن الإيمان بأربعة أمور:

الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته^(١).

الإيمان بوجود الله:

وهو أن تؤمن بأن الله موجود وقد دل على وجوده: الفطرة، والعقل، والحس، والشرع.

١- أما دلالة الفطرة على وجوده:

فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف، عن هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "^(٢).

والإنسان وحتى الملحد إذا أصابته الضراء قال: يا الله، من غير أن يشعر لأن فطرة الإنسان تدل على وجود الرب ﷻ.

قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) [الأعراف: ١٧٢].

وفي الحديث القدسي: " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم... " ^(٣).

٢- أما دلالة العقل على وجود الله تعالى:

فلأن هذه المخلوقات سابقتها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث؛ ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتألف والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات دلالة على وجود المدبر الخالق^(٤)، قال تعالى: (وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ

(١) مجموع فتاوى العقيدة، للشيخ ابن عثيمين، ١٠٧/٥، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٦، وتيسير العزيز الحميد، ص ١٧.

(٢) البخاري، حديث رقم: (١٢٩٣).

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (٢٨٦٥).

(٤) فتاوى العقيدة، للشيخ ابن عثيمين، ١٤٨/٣.

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (يس: ٣٧، ٤٠).

وكان جبير بن مطعم أول ما قرأ قوله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ) [الطور: ٣٥] وكان مشركاً يومئذ قال: كاد قلبي أن يطير^(١) وذلك أول ما

وقر الإيمان في قلبه ﷺ.

وسئل أعرابي فقيل له: بم عرفت ربك؟ - والأعرابي لا يعرف إلا ما كان أمامه - فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ بلى.

٣ - أما دلالة الحس على وجود الله تعالى فمن وجهين:

أ- أن ما نشاهده ونسمعه من إجابة دعاء الداعين وغوث المكروبين يدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى.

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا.

ب- أن آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس أو يسمعون بها برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم^(٢).

٤- الدليل الشرعي كل الشرع إذا تأمله الإنسان علم أن الذي أنزله وشرعه هو الله ﷻ (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢].

فانتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضاً كل ذلك يدل على أن القرآن نزل من عند الله ﷻ، وكذلك ما جاء به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق.

توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير^(٣)، وهو الإقرار بأن الخلق والملك

والأمر والتدبير من الله، بأن تعتقد أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا ضار ولا نافع إلا الله.

ومعنى الرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو ولا أمر إلا له، قال تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) [الأعراف: ٥٤]. فتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

ودليل تفرده بالملك والتدبير: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْخِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(١) البخاري، حديث رقم (٤٥٧٣).

(٢) فتاوى العقيدة، للشيخ ابن عثيمين، ١٠٨/٥ - ١٠٩.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ ابن عثيمين، ٩/١.

* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (آل عمران: ٢٦-٢٧).

ويستدل على توحيد الربوبية من العقل بما يسمى دليل التمانع قال تعالى: (مَا

أَتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ). [المؤمنون: ٩١].

والله هو الخالق الذي أوجد الأشياء من عدم (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [البقرة: ١١٧].

ولم يُعلم أن أحداً أنكر ربوبيته إلا أن يكون مكابراً كما حصل من فرعون حين قال لقومه: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) [النازعات: ٢٤].

(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [القصص: ٣٨].

موقف المشركين من توحيد الربوبية:

وقد كان المشركون مقرين بهذا التوحيد ولم يغنهم ذلك إذ لم يؤمنوا بألوهيته (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) يونس (٣١).

تساؤل:

فإن قال قائل كيف يكون الخلق والملك لله وحده مع أن الله قد أثبتته لبعض خلقه ؟

وقال تعالى: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) المؤمنون (١٤).

قال تعالى: (إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) المؤمنون (٦) وقال تعالى: (أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَّقَاتِحُ) النور (٦١).

والجواب: أن خلق الإنسان ليس خلقاً في الحقيقة، لأن الخلق هو الإيجاد من العدم، والإنسان إنما يغير من صورة إلى صورة أخرى^(١).

وأما بالنسبة للملك فإن ملك الإنسان ليس كملك الله لأن ملك الله شامل لكل شيء ولأن ملك الله تعالى ملك مطلق غير مقيد أما ملك الإنسان لما تحت يديه فليس ملكاً شاملاً، وكذلك ليس مطلقاً فما تملكه أنت لا أملكه أنا فهو ملك محدود فلا يتصرف الإنسان في ما يملك إلا بالقيود الشرعية فقد نهينا عن إتلاف المال والتبذير والمتاجرة المحرمة وغير ذلك من المنهيات الشرعية^(٢).

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين، ٢٢/١.

(٢) المرجع نفسه، ٢٣/١ - ٢٤.

توحيد الألوهية:

وهو أفراد الله عز وجل بالعبادة^(١).

ويسمى: توحيد العبادة ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق ولا إله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة^(٢).

والإله: أى المألوه، المعبود حباً وتعظيماً قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..) قال تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) ويسمى هذا التوحيد توحيد العبادة باعتبار أن العبودية وصف للعبد.

إبطال مزاعم المشركين المتخذين من دون الله أنداداً:

وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يُعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) الحج (٦٢).

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال تعالى في (اللات والعزى) (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيئَتْهُمَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) النجم (٢٣).

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين معبوداتهم آلهة ببراهين عقلية:

أ- أنه ليس فى هذه المعبودات التى اتخذوها شىء من خصائص الألوهية فهى

مخلوقة لا تخلق ولا تجلب نفعاً لعابديها ولا تدفع عنهم ضرراً ولا تملك لهم حياة ولا موتاً^(٣). قال تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا

يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) الفرقان (٣).
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) الحج (٧٣).

ب- والثانى أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذى

بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه وهذا يستلزم أن يفرده بالألوهية كما أفرده بالربوبية^(٤)، قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) الزخرف (٨٧).

وقال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ

الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ

(١) المرجع نفسه، ٢٤/١.

(٢) محمد نعيم، الإيمان، ص ١٢.

(٣) فتاوى العقيدة، ١١٢/٥.

(٤) المرجع نفسه، ١١٣/٥.

أَلْحَقِ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣١﴾ (يونس (٣١-٣٢).

ج - استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية:

ومعنى ذلك أن من أقر بتوحيد الربوبية بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه وتعالى. ويحتج الله سبحانه وتعالى على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا...) البقرة (٢١-٢٢). فالطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية ولا يكون العبد موحداً بمجرد إقراره بتوحيد الربوبية حتى يقر بتوحيد الألوهية فمشركو العرب كانوا يقررون بتوحيد الربوبية ومع ذلك لم يدخلهم ذلك الاعتراف بالإسلام بل قاتلهم النبي ﷺ، لأنه إقرار ناقص وقف عند الملزوم وترك اللازم.

ويستلزم توحيد الألوهية أن نتوجه إلى الله وحده بجميع أنواع العبادة

وأشكالها^(١) ومن ذلك:

- ١- وجوب إخلاص المحبة لله ﷻ فمن فعل خلاف ذلك وقع في الشرك قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) البقرة (١٦٥).
- ٢- وجوب إفراد الله تعالى بالدعاء والتوكل والرجاء قال تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ) يونس (١٠٦).
- ٣- إفراد الله تعالى بالخوف منه قال تعالى: (فَأَيُّيَ فَارْهُبُونَ).
- ٤- وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات البدنية من صلاة وركوع وسجود وصوم وذبح وطواف، وجميع العبادات القولية من نذر واستغفار وغير ذلك قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام (١٦٢).
- ٥- الحذر من الوقوع في الشرك الأصغر وهو الرياء، والذي أخبر النبي ﷺ بأنه في هذه الأمة: أخفى من ديبب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل.

(١) محمد نعيم، الإيمان، ص ١٤.

توحيد الأسماء والصفات:

هو إفراد الله ﷻ بما له من أسماء وصفات، وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل^(١).

قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقال تعالى: (وَكَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

وقال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وهذا التعريف يقوم على ثلاثة أسس:

- ١- الإثبات وذلك بأن نؤمن ونثبت ونقر بأسماء الله وصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسول الله ﷺ دون تجاوزها بالتقصص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها. (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها).
- ٢- نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه أو صفاته، وتنزيهه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق وعن أي نقص (ليس كمثل شئء وهو السميع البصير) الشورى (١١).
- ٣- قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات أو التشبيه أو التمثيل ، لأن معرفة الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات، فلا يصح السؤال عن الكنه والكيفية^(٢).

قواعد في أسماء الله تعالى:

- ١- أسماء الله تعالى كلها حسنى^(٣). قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ).
- ٢- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.
- ٣- أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدد تضمنت ثلاثة أمور:
 - أ - ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ. ب - ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.
 - ج - ثبوت حكمها ومقتضاها وأثرها مثل: الرحيم، العليم.وتوحيد الله في أسمائه يقتضى الإيمان بكل اسم سمي به نفسه، بما دل عليه هذا الاسم من معنى وبما يتعلق بهذا الاسم من آثار. فالرحيم نؤمن بأنه علم على الله. ويدل على صفته وأنه ذو رحمة، ونؤمن بأثر هذه الصفة وما يترتب عليها أن الله يرحم من يشاء.

(١) فتاوى العقيدة، ١١٤/٥.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، ١٧/١.

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ ابن عثيمين، ص ٢١.

٤- أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزداد فيها ولا ينقص^(١).

٥- أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين لقوله ﷺ في الحديث المشهور " أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"^(٢) أما عدد أسماء الله جل وعلا التي ورد في الحديث: " إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة أنه وتر يحب الوتر"^(٣) فهذا الحديث لا يفيد أنها محصورة في هذا العدد كما ورد في الحديث السابق " أسألك بكل اسم هو لك....".
وأما معنى أحصاها أي: معرفتها والإحاطة بها لفظاً ومعنى، والتعبد بمقتضاها.

قواعد في صفات الله تعالى:

- ١- صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه^(٤).
- ٢- باب الصفات أوسع من باب الأسماء لأن كل اسم متضمن لصفة، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى وأفعاله لا منتهى لها^(٥)، ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى المجيء والاتيان والأخذ والإمسك والبطش (وَجَاءَ رَبُّكَ) (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ). فتصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها فلا نقول: إن من أسمائه: الجائي، والاتي، والأخذ، والممسك، والباطش، والمريد.
- ٣- صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية. فالثبوتية ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم والقدرة والاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا، فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق^(٦).
- والصفات السلبية: ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والتعب،

(١) القواعد المثلى، ص ٣٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، ١/٣٩٤.

(٣) البخاري، حديث رقم: ٦٤١٠، ومسلم، حديث رقم: ٢٦٧٧.

(٤) القواعد المثلى، ص ٥٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٧.

(٦) القواعد المثلى، ص ٥٩.

فيجب نفيها عن الله مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل^(١).

٤- الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية^(٢).

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين. والفعلية: هي التي تتعلق بمشيينته إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا.

يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين: التمثيل والتكليف.
٥- صفات الله توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا تثبت لله من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته ؛ قال الإمام أحمد: " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث "^(٣).

طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته:
الإيمان بأسماء الله وصفاته على الوجه الذي وصف الله به نفسه بإثبات ما أثبتته الله لنفسه وما ورد في صحيح السنة من أسماء وصفات من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكليف ولا تعطيل، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة قال الإمام أحمد: (ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه ﷻ).

ففي الإثبات: إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل. والتحريف في النصوص، والتعطيل في المعتقد، والتكليف في الصفة، والتمثيل في الصفة إلا أنه أخص من التكليف فكل ممثل مكيف لا العكس.

وفي النفي: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى^(٤).

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

الطائفة الأولى: المعطلة: الذين أنكروا الأسماء والصفات أو بعضها زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي تشبيهه الله بخلقه^(٥).

وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

١- أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه وذلك لأن الله أثبت لنفسه الأسماء والصفات ونفى أن يكون كمثل شيء ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله وتكذيب بعضه بعضاً - والعياذ بالله -

(١) المرجع نفسه، ص ٦٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، ١٧/١.

(٥) فتاوى العقيدة، ١١٤/٥.

٢- أنه لا يلزم من اتفاق الشينين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين فانت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاهما إنسان سميع، بصير، متكلم ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية والسمع والبصر والكلام وترى الحيوانات لها أيد وأرجل وأعين ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها متماثلة^(١).

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء أو صفات فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.
الطائفة الثانية: المشبهة، الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيهه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون.

وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

- ١- أن مشابهة الله تعالى لخلق أمر باطل يبطله العقل، والشرع ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.
- ٢- أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمونه من حيث أصل المعنى أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته^(٢).

أقسام الفرق المنتسبة للإسلام في باب الأسماء والصفات:

وقد انقسمت الفرق المنتسبة للإسلام في باب الأسماء والصفات إلى فرق شتى:
الأولى: إنكار الأسماء والصفات وهؤلاء غلاة الجهمية والقرامطة والباطنية ينكرونها ولا يصفونه تعالى إلا بالنفي المجرد.
الثانية: الإيمان بالأسماء دون الصفات، فيزعمون أن الله سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وهذا المشهور في مذهب المعتزلة.
الثالثة: الإيمان بالأسماء وبعض الصفات وهم الأشاعرة ويثبتون سبع صفات يزعمون أن العقل أثبتها دون غيرها وهي: الحياة، والعلم، والقوة، والسمع، والبصر، والإرادة، والكلام^(٣).

وحتى تزداد يقيناً بمحاسن الإسلام في باب أسماء الله وصفاته نعرض لمحة عن الانحراف الذي حدث لدى اليهود والنصارى، وبضدها تتميز الأشياء.

تصور اليهود للذات الإلهية:

من التحريفات التي وقعت في كتب وعقائد اليهود ذلك الانحراف في تصورهم

(١) المرجع نفسه، ١١٤/٥.

(٢) فتاوى العقيدة، ١١٥/٥.

(٣) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين، ٣٢/١ - ٣٣.

للذات الإلهية، فقد وصفوا الله سبحانه وتعالى بأبشع وأسوأ الأوصاف، كما زعموا^(١).
فاليهود في كتبهم المحرفة وفي توراتهم ينسبون التعب إلى الله حين يزعمون
قائلين: إن الله تعب في اليوم السادس وهو يخلق الكون واستراح في اليوم السابع،
وبارك اليوم السابع وقده لأنه استراح فيه^(٢).

ومن مزاعمهم: نسبتهم الجهل لله سبحانه وتعالى وعدم علمه ما حدث لأدم
عندما أكل من الشجرة إلا بعد أن حدثت تلك الواقعة كما يزعمون.
وأن الله - كما يزعمون - ندم على إغراق الأرض بالطوفان، وقبل ضيافة إبراهيم
وأكل مع إبراهيم على مائدته^(٣).

وأنه كما يزعمون دخل في عراك ومصارعة مع يعقوب دامت ليلة كاملة
وعندما أوشك يعقوب أن يتغلب عليه لجأ إلى خداعه^(٤).
تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً.

وأن ذلك الإله وهو ما يسمونه (يهوه) إله خاص باليهود دون سواهم^(٥).

وقد أبطل الله مزاعمهم في كل آية وردت في القرآن تنزه الله عن اتخاذ الولد أو
الشريك وفي كل الآيات التي تبين أسماء الله وصفاته العلى بل إن كل آيات الله الكونية
والشرعية فيها رد على مزاعمهم ويخبر الله سبحانه وتعالى عن جانب من تلك
المزاعم ويمقتهم على قولهم فيقول جل وعلا: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) التوبة (٣٠ -
٣١).

ويقول سبحانه وتعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا
قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ..) المائدة (٦٤).
وقال تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا
قَالُوا وَنَقْلُهُمُ الْآيَاتِ بِعَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) آل عمران (١٨١).

مزاعم النصارى فى ألوهية المسيح ﷺ وحكم القرآن عليهم:

انحرف النصارى فى عقيدتهم فى عيسى ﷺ فادعوا أنه إله وابن إله وروح

(١) ينظر: عبدالرزاق الموحى، العبادات فى الديانة اليهودية، ص ٢١.

(٢) سفر التكوين: الإصحاح الثانى.

(٣) سفر التكوين: الإصحاح: ٣٢.

(٤) عبدالرزاق الموحى، العبادات فى اليهودية، ص ٢١ - ٢٢.

(٥) محمد علي البار، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام فى التوراة والعهد القديم، ص ٢٠ - ٣٧.

قدس^(١) كما زعموا ويبطل الله دعاوهم في عدد من آيات القرآن الكريم.

يقول الحق تبارك وتعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ).
وقال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

ويذكر الله قصة ولادة عيسى ﷺ: قال تعالى: (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ
انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا
رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا
﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ
هِينٌ ﴿٢١﴾ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) مريم (١٦ - ٢١).

وينفي سبحانه وتعالى مزاعمهم في عيسى ﷺ والمشككين في نسبه على لسان
نبيه عيسى ﷺ عندما أنطقه في المهد قال تعالى: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا....) مريم (٣٠ - ٣٤).

ويبطل مزاعمهم أنه ابن الله قال تعالى: (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ) مريم (٣٥ - ٣٦).

ويبطل الله مزاعمهم بقوله جل وعلا: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا
إِذَا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا * أَنْ دَعَوْا
لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) مريم (٨٨ - ٩٣).

إدًا: منكرًا عظيمًا، ويقول ابن عباس: الإد والإادة: الداهية والأمر الفظيع.
ويقول سبحانه وتعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) آل عمران (٥٩).

(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) المائدة (٧٥).

مزاعم اليهود والنصارى في الصلب والخطيئة^(٢):

(١) أندرية نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص ٤١، وينظر: أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٣٢ - ١٣٥.

(٢) أحمد عبدالوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص ١٢٧.

يدعي اليهود والنصارى أن المسيح عليه السلام صلب تكفيراً لخطايا البشرية ، بدءاً بمعصية آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها و يرد الله زعمهم في عقيدة الصلب وبيبين بطلان زعمهم قال تعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (١٥٧-١٥٨) سورة النساء.

وهذه العقيدة التي يشترك فيها اليهود والنصارى في زعمهم أن عيسى عليه السلام صلب وقتل ، وكانت النصارى تتهم اليهود وتعاديهم لأجل ذلك ولكن المجامع الكنسية ارتأت أن تبرئ اليهود من دم المسيح على حسب اعتقادهم.

ومزاعمهم حول ما حدث من آدم عليه السلام فيما أخبر الله عنه بقوله: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فقلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَؤَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (١١٥-١٢١) سورة طه.

وقد سألا الله المغفرة وندما واستغفرا الله: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢٣) سورة الأعراف.

فسمع الله نداءهما واستجاب لهما وقبل توبتهما: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٣٧) سورة البقرة ، وزاده من فضله عندما اجتباه جل وعلا: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) (١٢٢) سورة طه.

والله سبحانه وتعالى كما أخبر جل وعلا قبل توبة آدم عليه السلام واجتباهه وهداه ، وكيف يحتمل عيسى عليه السلام كما يزعمون خطايا البشرية والله تعالى يقول: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (٣٨) سورة المدثر.

ويقول الحق تبارك وتعالى: (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (١٥) سورة الإسراء.

وقال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) (٤٦) سورة فصلت.

وقد كتبت ردود عديدة في إبطال دعاوى اليهود والنصارى من كتب السلف

ومن الكتابات المعاصرة^(١).

(١) ينظر على سبيل المثال: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهداية الحيارى لابن القيم، والأجوبة الفاخرة للقرافي، إظهار الحق رحمة الله الهندي.

من ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته:

- ١- تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاءً ولا خوفاً ولا يعبد غيره ؛ وتعظيمه حق التعظيم لأنه ليس مثله أحد من المخلوقات.
- ٢- كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنی وصفاته العليا.
- ٣- تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه فإذا علم العبد أن ربه سمیع عليم قوي قادر فعال لما يريد وأنه لا يخفى عليه شيء فإن ذلك يحمله على مراقبة الله والخوف منه والابتعاد عن معاصيه..^(١).
- ٤- تعظيم الله بالتوسل بأسمائه وصفاته في دعائه: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا).
- ٥- ينال الحافظ لأسماء الله تبارك وتعالى والعارف بمعناها العامل بمقتضاها من الأجر ما لا يعلمه إلا الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: " إن الله تسعاً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة " رواه البخاري.
- ٦- الإيمان يزيد وينقص بالعلم والعمل فكلما علم العبد عن الله وآياته شيئاً ازداد إيماناً، وكذلك إذا استجاب العبد لما أمره الله به ازداد إيماناً، وينقص الإيمان بنقص العلم والعمل، (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أئكم زادته هذه إيماناً... التوبة (١٢٤)).
- ٧- لا سبيل لمعرفة العباد لربهم المعرفة الحقة إلا عن طريق أسمائه وصفاته ومن هنا تدرك عظيم جناية الذين ينفون عن الله صفاته وأسمائه وأفعاله أو شيئاً منها، لأنهم بذلك يغلقون باب المعرفة بالله تبارك وتعالى وأسماءه وصفاته التي ذكرها في كتابه: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...)) والنصوص الواردة في هذا كثيرة.

الإيمان بالملائكة

وهم عالم غيبي خلقهم الله من نور، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: " خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم " (١).

وتدل النصوص في مجموعها على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية غير أنهم يتمثلون بصورة البشر أحياناً بأمر الله تعالى: (وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) وفي الحديث أن جبريل جاء يعلم الصحابة أمر دينهم على هيئة رجل.

وله ستمائة جناح كما أخبر بذلك النبي ﷺ (٢).

وهم عباد لله مكرمون منقطعون دائماً لعبادته (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) (٢٦) سورة الأنبياء وقال تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (٥٠) سورة النحل.

وقال تعالى: (وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) الأنبياء (١٩ - ٢٠).

يقومون بأمر الله تعالى: (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) التحريم (٦).

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس ؓ في قصة المعراج أن النبي ﷺ رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه (٣).

وعددهم لا يعلم به إلا الله (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) (٣١) المدثر.

وفي الحديث: " أظت السماء وحق لها أن تنط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وفيها ملك ساجد " (٤).

الملائكة هم الرسل كما قال تعالى: (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا) فاطر (١).

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

١ - الإيمان بوجودهم.

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٢٩٩٦).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٥٧٦).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٠٣٥).

(٤) سنن الترمذي، حديث رقم (٢٣١٢).

- ٢- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.
 ٣- الإيمان بما علمنا من صفاتهم.
 ٤- الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور^(١).

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة:

جبريل: الأمين على وحي الله تعالى.

ميكائيل: الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

إسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلائق.

ملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

مالك: خازن النار^(٢).

الملائكة الموكل إليهم حفظ الأجنة في الأرحام، والموكلون بحفظ أعمال بني آدم، والموكلون بسؤال الميت إذا وضع في قبره^(٣).

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله وسنة نبيه من غير تحريف ولا زيادة ولا نقصان.

قال تعالى: (أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (٢٨٥) البقرة.

وإنكار وجودهم على حقيقته كفر قال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (١٣٦) سورة النساء.

ومن أعمالهم التي كلفهم الله بها تدبير أمر الكون (فالمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) (٥) سورة النازعات. (فالمُقْسِمَاتِ أَمْرًا) (٤) سورة الذاريات.

كما أخبرنا ﷺ أنه سخرهم للدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.....) (٧) سورة غافر.

وفي الحديث " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً"^(٤).

قال ﷺ: " والملائكة يصلون على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه، فيقولون ! اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث

(١) فتاوى العقيدة، ١١٦/٥ - ١١٧.

(٢) فتاوى العقيدة، ١١٧/٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٣٥.

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (١٣٧٣).

فيه" (١).

وفي حضورهم مجالس الذكر " إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر...." (٢).

" وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ".
ومن أعمالهم: تنبيت المؤمنين في ميادين الجهاد (إذ يُوحى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُبَيِّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) الأنفال (١٢).

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

- ١ - العلم بعظمة الله تعالى - وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.
- ٢ - شكر الله على عنايته ببني آدم حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.
- ٣ - محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى (٣).
- ٤ - مراقبة الله على الدوام (إذ يَنْلَقِي الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). ق: (١٧-١٨).
- ٥ - الاستقامة على أمر الله عز وجل، فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن، ويؤمن برقابتهم لأعماله، وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه ولا يعصيه لا في السر ولا في العلانية (٤).

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٦٤٩).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٦٠٤٥).

(٣) فتاوى العقيدة، ١١٨/٥.

(٤) محمد نعيم، الإيمان، ص ٤٣.

الإيمان بالكتب

أي كتب الله التي أنزلها على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وما من رسول إلا أنزل الله معه كتاباً قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) (٢٥) سورة الحديد.

وقال تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) فما من رسول إلا أنزل معه كتاباً يهتدي به الناس.

ومما أخبرنا الله به من تلك الكتب: التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى.

والإيمان بالكتاب يتضمن أربعة أمور:

- أ- الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.
- ب- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، القرآن، التوراة، والإنجيل، الزبور، صحف إبراهيم، صحف موسى.
- وما لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.
- ج- تصديق ما صح من أخبارها كأخبار القرآن الكريم، وأخبار ما لم يبذل أو يحرف من الكتب السابقة.
- د- العمل بأحكامه ما لم ينسخ منها والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن^(١)، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (٤٨) سورة المائدة.

موقفنا من أحكام الشرائع السابقة:

- ١- ما وافق شريعتنا وجاء فيها تصديقه نؤمن به.
- ٢- ما جاءت شريعتنا خلافه فإننا لا نؤمن به.
- ٣- ما لم يكن في شريعتنا خلافه ولا وفاقه فإن العلماء قد اختلفوا فيه فمن العلماء من قال هو شرع لنا ومنهم من قال ليس شرعاً لنا^(٢).

(١) فتاوى العقيدة، ١٢٠/٥.

(٢) عبدالرحمن الدرويش، الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية.

وقد أخبرنا الله تعالى يحفظ كتابه القرآن ولكن ما الذي حدث للتوراة والإنجيل هذا ما نتعرف عليه في هذه الفقرة:

التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل:

لقد تعرضت كتب الديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل وتزوير وتلبيس وإيهام وإخفاء كما أخبر الله بذلك في كتابه وسنة رسوله ﷺ، يخبر الله تعالى عن تحريفهم فيقول جل وعلا (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (٧٥) سورة البقرة.

وقال تعالى: (مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا..) (٤٦) سورة النساء.

ويقول عن التبديل (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ...) (٥٩) سورة البقرة.

وعن التزوير (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) (٧٩) سورة البقرة.

وعن التلبيس (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٧١) سورة آل عمران.

وعن الإيهام (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (٧٨) سورة آل عمران.

الإخفاء (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (١٥) سورة المائدة.

وقد أفرد عدد من علماء المسلمين مؤلفات تبين تحريفهم كتبهم وعقائدهم^(١)؛

وثبت ذلك في مؤلفات عدد من الكتاب الغربيين^(٢)، بل ظهرت مدرسة تخصصت في

نقد كتبهم تسمى مدرسة نقد الكتاب المقدس^(٣).

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

أولاً: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

ثانياً: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم^(٤)

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية، هداية الحيارى لابن القيم، الأجوبة الفاخرة للقرافي.

(٢) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم.

(٣) فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير، مصر، ص ٣٢٨.

(٤) فتاوى العقيدة، ١٢١/٥.

كما قال تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (٤٨) سورة المائدة.
ثالثاً: شكر نعمة الله في ذلك.

الإيمان بالرسول

الإيمان بالرسول أحد أركان الإيمان الستة
والرسول في تعريف جمهور العلماء: " من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه "
وأولهم نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام^(١).

قال تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) (١٦٣)
سورة النساء.

والدليل على أن محمداً ﷺ خاتمهم: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٤٠) سورة الأحزاب.

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه أو يوحي إليه
بشريعة من قبله ليحدثها، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٣٦) سورة النحل.

وقال تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (٢٤) سورة فاطر

والرسول بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء^(٢)، قال

تعالى عن نبيه محمد ﷺ: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ) (١٨٨) سورة الأعراف

وقال تعالى: (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ
أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) سورة الجن (٢١-٢٢).

ويقرر الله سبحانه بشريته نبيه محمد ﷺ قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (١١٠) سورة الكهف.

وينفي جل وعلا عن نبيه معرفة الغيب قال تعالى: (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ
اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ) (٥٠) سورة
الأنعام.

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض والموت والحاجة إلى الطعام والشراب.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينُ * وَإِذَا مَرَضْتُ فهُوَ
يَشْفِينُ) (٧٩-٨٠) سورة الشعراء.

وقال النبي ﷺ " إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت

فذكروني"^(٣).

(١) فتاوى العقيدة، ١٦٦/٣.

(٢) فتاوى العقيدة، ١٢٣/٥.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٢٩).

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (٣) سورة الإسراء وقال في محمد ﷺ: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا). وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: (وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ) (٤٦ - ٤٧) سورة ص.

والإيمان بالرسول يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع كما قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) (١٠٥) سورة الشعراء. فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) (٧٨) سورة غافر.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ (١) (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٦٥) سورة النساء.

وقد ورد ذكر عدد خمسة وعشرين منهم في القرآن في آيات متفرقة وهم: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

من خصائص النبي ﷺ (٢):

مما اختص به دون غيره من الأنبياء:

ورد في كتب دلائل النبوة عدد من الأحاديث الصحيحة التي تبين منزلة النبي ﷺ عند ربه وما خصه به دون سائر الأنبياء ومن ذلك ما ورد في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: بُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأما رجل من امتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة

(١) فتاوى العقيدة، ١٢٤/٥ - ١٢٥.

(٢) ينظر: أعلام النبوة للماوردي، ودلائل النبوة للبيهقي، وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير.

ومن ذلك أن كل معجزات الأنبياء انقضت معهم ومعجزته ﷺ بأقية بعده إلى ما شاء الله وهو القرآن الكريم.

ومن ذلك ما خصه الله به من الإسراء والمعراج في ليلة واحدة^(٢).

ومن ذلك أن الكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيره من سائر البشر " إن كذباً علي ليس ككذب علي أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار... " ^(٣).

إلى غير ذلك من الخصائص والآيات التي خص الله بها نبيه محمد ﷺ مما ورد الإخبار عنه في كتاب الله أو في ما صح من سننه عليه الصلاة والسلام، غير أنه يجب التثبيت من صحة كل ما أسند إلى النبي ﷺ من خصائص مما وضعه الوضاعون المحرفون من صفات تصل به إلى مقام الألوهية والعياذ بالله.

حقيقة محبة الرسول ﷺ:

قرن الله محبة رسوله ﷺ بمحبته جل وعلا، وبين أن حقيقة محبة النبي ﷺ في اتباع سنته وطاعته فيما بلغ به عن ربه قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٣١) سورة آل عمران.

وقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٧) سورة الحشر.

وقال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (٨٠) سورة النساء. وقد أخبر النبي ﷺ عن حقيقة محبته ففي الصحيحين عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " ^(٤).

ولهما عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار " ^(٥).

وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو اه تبعاً لما جئت به " ^(٦).

فهذه هي حقيقة محبة النبي ﷺ باتباع سنته وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٢٨).

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ١٠٦/٢.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (١٢٢٩).

(٤) رواه مسلم، حديث رقم (٤٤).

(٥) رواه مسلم، حديث رقم (٤٣).

(٦) جامع العلوم والحكم، ٣٨٦/١، وفتح الباري، ٢٨٩/١٣.

ومن حقوقه علينا ﷺ ومن موجبات طاعته الصلاة والسلام عليه.

فقد قال ﷺ: " البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي " (١).

وقد أمر الله تعالى بالصلاة علي نبيه (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) الآية.

وقال ﷺ: " من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً " (٢).

وقد حذرنا النبي ﷺ من الغلو فيه، ومن أن ينزل منزلة غير منزلته فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: " أ جعلتني لله نداً. بل ما شاء الله وحده " (٣).

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب ؓ أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله " (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " (٥).

(١) مسند أحمد، حديث رقم (١٧٣٦).

(٢) سنن أبي داود، حديث (٥٢٣).

(٣) أخرجه النسائي، حديث رقم (٩٨٨).

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (٣٢٦١).

(٥) رواه ابن ماجه، حديث رقم (٣٠٢٩).

وللايمان بالرسول ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ عبادته والنصح لعباده^(١).

تصور اليهود لأنبياء الله ومكانة أنبياء الله في التشريع الإسلامي:

قبل أن نذكر اعتقاد اليهود وتصورهم لأنبياء الله تعالى نشير إلى أنه حدث اضطراب في فهم اليهود للنبوّة وصفات الأنبياء وخصائصهم فخلطوا بين الأنبياء والدجالين والكهان إلى غير ذلك من تلك الصور المضطربة والمشوشة لأصل مفهوم النبوّة والمبسوطة في عدد من المصادر^(٢).

أما وصف اليهود للأنبياء فلقد وصفوا الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم بأبشع الأوصاف، وكيف لا يكون ذلك منهم وقد تناولوا على الذات الإلهية بأوصاف لا تليق به جل وعلا، فهم قوم بهت، مغضوب عليهم، يقتلون الأنبياء ويسعون في الأرض فساداً.

ألقوا بأنبياء الله أسوأ التهم وأشنع الأوصاف، وقد وردت تلك الأوصاف والتهم في كتبهم المزورة عن أنبياء الله: نوح وإبراهيم ولوط وداوود وعيسى عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم^(٣).

وانظر لوصف الله لنوح ﷺ قال تعالى: (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) سورة الصافات (٧٩ - ٨١).

وأما وصف الله لإبراهيم في القرآن قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِنِعْمَةِ اجْتِبَاءِهِ وَهُدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

وقال تعالى: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (١٢٥) سورة النساء.

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (١١٤) سورة التوبة.

(وَأَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (٤١) سورة مريم.

وهذه منزلة لوط ﷺ في القرآن الكريم:

قال تعالى: (وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْقَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)

(١) فتاوى العقيدة، ١٢٥/٥.

(٢) محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوّة الإسرائيلية، وحسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، وأحمد شلبي، اليهودية.

(٣) محمد علي البار، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، ص ٤٣ - ٤٥٠.

(٧٤-٧٥) سورة الأنبياء.

ويذكر الله منته على لوط وآله (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) القمر (٣٣-٣٥).
ويخبر الله إنكار لوط على قومه فعل الفاحشة بقوله: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ) (٨٠) سورة الأعراف.
وانظر إلى منزلة داود عليه السلام عند ربه من خلال كتاب الله الذي تعهد الله بحفظه وحفظ منزلة الأنبياء التي تليق بهم فيه.

قال تعالى: (وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ).
وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) (١٠) سبأ. وقال تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (٢٦) ص.

ويذكر الله سبحانه وتعالى اليهود مقولة اليهود الشنيعة في عيسى عليه السلام ويكفرهم بقولهم (وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) (١٥٦) سورة النساء.
فكيف لا تصدر منهم تلك الأوصاف المستهجنة للأنبياء وقد وصفوا الله سبحانه وتعالى بأوصاف النقص والإذلال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً عظيماً.
كيف لا وهم قتلة الأنبياء وقد أخبر الله عن شناعة فعلهم بقوله: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) (٨٧) سورة البقرة.

وقال تعالى واصفاً حالهم: (كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (٦١) سورة البقرة.
وينفي الله عنهم الإيمان ويذكر بجرمهم قال تعالى: (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٩١) سورة البقرة.

فانظر رعاك الله للبيون الشاسع بين تصور اليهود والنصارى للأنبياء والمرسلين والصورة المشرقة والمنزلة الرفيعة التي ذكرها الله عن أنبيائه وصفوة الخلق أجمعين عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم.

وهذا يذكرنا بنعمة الله تعالى ومنته على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن تعهد بحفظ كتابه عندما قال جلا وعلا: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٩) سورة الحجر ، فكان من نتيجة الحفظ أن بقيت تلك الصورة المشرقة للأنبياء والمرسلين في كتاب الله تعالى كما وصفهم جل وعلا بخلاف ذلك البهتان وتلك الأوصاف المستهجنة في كتب القوم عن الأنبياء والمرسلين في الكتب التي كتبوها بأيديهم كما أخبر جل وعلا ﴿يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. (٧٩) البقرة. تلك الأيدي

الملطخة بدماء من قتلوا الأنبياء والمرسلين، فحمداً لك يا رب أن حفظت لنا كتابك وحفظت علينا شريعتنا من التحريف والتزوير وهذه نعمة لا يقدرها إلا من اطلع على تلك التحريفات في كتب تلك الأمم ، فلا يعرف حقيقة الإسلام ومكانته من لم يعرف

الجاهلية كما في تلك المقولة المنسوبة إلى عمر رضي الله عنه.

الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبعثُ الناس فيه للحساب والجزاء وسُمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم^(١).

المراد بالإيمان باليوم الآخر:

والإيمان باليوم الآخر أن نؤمن بأن الناس سوف يبعثون ويجازون على أعمالهم وأن نؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أوصاف ذلك اليوم، وبكل ما أخبر الله به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصفح والحساب والميزان والحوض والصراف والشفاعة والجنة والنار^(٢).

مظاهر اهتمام الدين الإسلامي باليوم الآخر:

١- وقد أولى القرآن الكريم هذا اليوم عناية كبيرة، فوردت آيات عدة تنبه إلى لزوم الإيمان وتنبيه إلى عظمة ذلك الموقف قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (الحج (٢-١)).

٢- وأوصاف هذا اليوم الدالة على هوله وعظمتها كثيرة في الكتاب والسنة.

٣- ومن مظاهر اهتمام كتاب الله بهذا اليوم أنه كثيراً ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله ﷻ (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (سورة البقرة).

٤- ومن ذلك كثرة ما سماه الله من أسماء ومنها: القيامة، الساعة، الآخرة، يوم الدين، يوم الحساب، يوم الفتح، يوم التلاق، يوم الجمع، يوم التغابن، يوم الخلود، يوم الخروج، يوم الحسرة، يوم التناد، الأزفة، الطامة، الصاخة، الحاقية، الغاشية..ولعل من حكمة الاهتمام البالغ بالتذكير باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له وغفلتهم عنه بسبب تناقلهم إلى الأرض وحبهم لمتاع الدنيا.

فتنة القبر وسؤال الملكين

وأول شيء يكون بعد الموت فتنة القبر، فإن الناس يفتنون - أي يختبرون، في قبورهم، فما من إنسان يموت سواء دفن في الأرض أو رمي في البر، أو أكلته السباع، أو ذرته الرياح، إلا ويفتن هذه الفتنة فيسأل عن ثلاثة أمور:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟^(٣)

ففي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن العبد إذا

(١) فتاوى العقيدة، ١٢٧/٥.

(٢) محمد نعيم، الإيمان، ص ٦٧.

(٣) فتاوى العقيدة، ١٧٠/٣.

وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم قال: يأتية ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ماكنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة^(١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ)، قال نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فذلك^(٢) قوله صلى الله عليه وسلم: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ).

عذاب القبر ونعيمه:

وقد وردت آيات عدة في بيان نعيم القبر وعذابه، ومما جاء في بيان نعيم القبر قوله تعالى: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ) وهذا يكون إذا بلغت الروح الحلقوم وهذا نعيم القبر بل إن الإنسان يبشر بالنعيم قبل أن تخرج روحه يقال لروحه! اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتفرح الروح بذلك وتخرج خروجاً سهلاً ميسراً.

وأما السنة فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في أحاديث كثيرة بما يدل على أن الإنسان ينعم في قبره.

وأما عذاب القبر فتأثرت أيضاً في الكتاب والسنة قال تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) فقول الحق "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا" هذا قبل أن تقوم الساعة "ويوم تقوم الساعة" وقد عطف الثاني على الأول والعطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه فلا بد أن يكون زمن الأول غير الثاني^(٣).

وأشار الله إلى عذاب يكون بعد الموت في قوله: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ تَجُزُونَ عَذَابَ الْهُونِ) (٩٣) الأنعام.

فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال: هذا عند الموت والبسط، الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم.

وأما الأحاديث المثبتة لعذاب القبر فكثيرة جداً وقد أرشدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن

(١) رواه البخاري، حديث رقم (١٣٠٨).

(٢) سنن النسائي، حديث رقم ٢١٨٤.

(٣) فتاوى العقيدة، ١٧٢/٣.

نستعيز دبر كل صلاة من أربع ومنها من عذاب القبر^(١).

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله^(٢).

أما كيفية عذاب القبر وكيفية عودة الروح إلى الميت فنؤمن به بدون السؤال عن الكيف ولا يجوز فيه الزيادة عن ما أخبر به النبي ﷺ: يقول ابن القيم (مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل لها معه النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين)^(٣).

البعث والنشور

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور فالله سبحانه وتعالى يبعث الأجساد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً^(٤).

والبعث هنا إعادة وليس تجديداً كما قال تعالى: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) يس (٧٨-٧٩).
وقال تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) الأنبياء (١٠٤).
أخبر الله تعالى أن النفخة الأولى في الصور تنهي الحياة في الأرض والسماء قال تعالى: (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ).

(٦٨) سورة الزمر.

وهي نفخة هائلة مدمرة يسمعها المرء فلا يستطيع أن يوصي بشيء ولا يقدر على العودة إلى أهله وولده قال تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) (سورة يس. ٤٩-٥٠).
وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تلك النفخة قائلاً: ((كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ)). قال الصحابة فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا^(٥).

وقد سمي الله تعالى النفخة الأولى بالرافجة والثانية بالرادفة قال تعالى: (يَوْمَ

(١) روه البخاري، حديث رقم (٧٩٨).

(٢) روه البخاري، حديث رقم (١٣١٢).

(٣) الروح لابن القيم، ص ٥٢.

(٤) فتاوى العقيدة، ١٧٣/٣.

(٥) سنن النسائي، حديث رقم (٣٢٤٣).

تَرْجُفُ الرَّاجِفَةَ * تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ { (٦-٧) سورة النازعات.
وفي سورة يس سمي الله الأولى بالصيحة ، والثانية بالنفخ في الصور قال
تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يُسْتَنصِفُونَ تَوْصِيَةَ
وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) [يس: ٤٩ - ٥١] .

والبعث عندما يأمر الله بالنفخة الثانية فتعود الحياة على إثرها إلى الأموات، وهذا هو يوم البعث وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا، ويخرج الله الناس من الأجداث أحياء فيقول الكفار والمنافقون حينئذ (يَا وَيَلَّنَا مَنِ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) ويقول المؤمنون (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) يس (٥٢).

الرد على منكري البعث :

أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن ، وهذا الزعم باطل
دل على بطلانه الشرع والحس والعقل^(١) .

أما من الشرع:

فقد قال تعالى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكِ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٧) سورة التغابن.

وأما الحس:

فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا وفي سورة البقرة خمسة أمثلة
وهي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: (لن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (٥٥) سورة البقرة، فأماتهم الله ثم أحياهم وفي
ذلك قول تعالى مخاطباً بني إسرائيل: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِّن بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)
(٥٥- ٦٥) سورة البقرة.

المثال الثاني: يقول الله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ * فَلَمَّا أَضْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)
(٧٢-٧٣) سورة البقرة.

المثال الثالث: يقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَدَرَ
الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ) (٢٤٣) سورة البقرة.

المثال الرابع: يقول تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ
إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا

(١) فتاوى العقيدة، ١٣١/٥ .

يلجمه العرق إجمالاً وأشار - صلى الله عليه وسلم - بيده إلى فيه ^(١).

بعض معالم أهوال القيامة:

يخبرنا الله تعالى في سور عدة عن أهوال ذلك اليوم التي تنزل من القلوب وتشخص الأبصار وتذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتنزل فيه الأرض وتدك وتنسف الجبال ، وتفجر البحار ، وتنشق السماء ، وتكور الشمس ، ويخسف القمر ، وتنكدر النجوم ورد ذلك في آيات وسور متكاثرة ومن أعظمها أخباراً بهول ذلك اليوم سورة: الحاقة ، والقارعة ، والتكوير ، والانشقاق ، والانفطار ، والقيامة ، والنبأ ، والرحمن ، والكهف ، وطه ، والمعارج وغيرها من السور التي ورد فيها وصف ذلك المشهد العظيم ، وقد روى الترمذي بسنده عن ابن عمر رض الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: (إذا الشمس كورت) ، (إذا السماء انقطرت) ، (إذا السماء انشقت)).

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٢٨٦٤).

أحوال الناس يوم القيامة:
تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم اختلافاً بيناً بين الكفار، وعصاة الموحدين والأتقياء الصالحين.

حال الكفار يوم القيامة:

ذكر الله تعالى الذلة والهوان والحسرة واليأس الذي عليه الكفار يوم القيامة في آيات عدة ، فيبين الله تعالى حال الكفار عند خروجهم من القبور قال تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) (٤٣ - ٤٤) سورة المعارج.
ويقول تعالى: (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) (٧-٨) سورة القمر
وفي ذلك اليوم يندم الكافر أن حاد عن شرع الله تعالى قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (٢٧ - ٢٩) سورة الفرقان.
ويقول تعالى: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) (٤٠) سورة النبا.

حال عصاة المؤمنين :

ممن يعاجل لهم العذاب يوم القيامة عصاة المؤمنين وهم أحوال ودرجات فالذي لا يؤدي الزكاة يمثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يقول: أنا مالك ، أنا كنزك. ثم تلا^(١): (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١٨٠) سورة آل عمران.

وأما المتكبرون فإنهم يحشرون أمثال الذر يوم القيامة ففي الترمذي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان))^(٢).

ومن الناس من لا يكلمهم الله يوم القيامة ففي مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكاهم ولهم عذاب أليم)).

(١) رواه البخاري، حديث رقم (١٣٣٨).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم (٢٤٩٢).

قلت: يا رسول الله ، من هم ؟ خسروا وخابوا.

قال: ((المسبل ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنان)) (١).

وهناك أصناف أخرى لا يكلمهم الله يوم القيامة في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله كما ورد في صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزيكهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم: شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر)) (٢).

حال الأتقياء يوم القيامة:

يصف الله تعالى حال أولياء الرحمن يوم القيامة قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ { (١٠١-١٠٣) سورة الأنبياء.

ويقول تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (٦٢-٦٤) سورة يونس. وسبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله)) (٣).

والشهاد والمرايط يأمن الفزع الأكبر يوم القيامة.

وأما الكاظمون الغيظ فقد بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه البشرى: ((ومن كظم غيظاً ، وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور العين شاء)) (٤).

الشفاعة:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الشفاعة وهي قسمان:

أحدهما: خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: عام له ولسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

أما الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فهي:

(١) سنن النسائي، حديث رقم (٦٠٥٠).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم (١٠٦).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (١٣٥٧).

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٧٧٧).

- ١- الشفاعة العظمى التي تكون للقضاء بين الناس.
 - ٢- ومن الشفاعة الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يشفع لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة.
 - ٣- شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.
- أما الشفاعة العامة له ﷺ ولسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فهما شفاعتان:

- ١- الشفاعة في أهل النار من المؤمنين أن يخرجوا من النار.
- ٢- الشفاعة في من استحق النار من المؤمنين أن لا يدخل النار.
- ٣- الشفاعة في رفع درجات المؤمنين بعضهم لبعض^(١).

شروط الشفاعة:

قال تعالى: {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَأ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} (٢٦) سورة النجم.

وقال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى) (٢٨) سورة الأنبياء

وقوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٢٥٥) سورة البقرة

فشروطها ثلاثة:

- (١) رضا الله عن الشافع.
- (٢) رضا الله عن المشفوع له.
- (٣) وإذنه جل وعلا للشافع^(٢).

محاسبة الخلائق على أعمالهم:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر أن نؤمن بأن الخلائق يحاسبون على أعمالهم ، وقد سمي الله يوم القيامة يوم الحساب لأنه اليوم الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم.

ولكن هل الحساب حساب مناقشة أم حساب فضل وإحسان ؟ يختلف ذلك بحسب المناقش ، فهو حساب فضل وإحسان وكرم للمؤمنين.

فإن الله تعالى يحاسب المؤمن فيخلو به ويضع كنفه عليه – أي ستره – ويقرره بذنوبه فيقول له: عملت كذا في يوم كذا حتى يقر ويعترف فإذا أقر واعترف قال الله سبحانه وتعالى له: ((إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم))^(٣).

أما الكفار والعياذ بالله فإنهم لا يحاسبون هذا الحساب بل يقررون بأعمالهم

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ٣٣٣/١ – ٣٣٤.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، ٣٣٦/١.

(٣) المعجم الأوسط، للطبراني، حديث رقم (٣٩١٥).

ويقول عملتم كذا وكذا فإذا أنكروا تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، فيقولون لجلودهم (لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) قالوا { أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ } (٢٣-٢٤) سورة فصلت.

وينجو من الحساب سبعون ألفا وهم: الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون^(١).

الـوزن:

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الوزن قال تعالى: (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) (٨) سورة الأعراف.

وقال تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (٤٧) سورة الأنبياء فتوزن الأعمال يوم القيامة بميزان له كفتان توضع في إحداها الحسنات وفي الأخرى السيئات والذي يوزن في ظاهر النصوص العمل قال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (٧-٨) سورة الزلزلة. وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: ((كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم))^(٢).

اقتصاص المظالم بين الخلق يوم القيامة

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأن الله يقتص للمظلوم ممن ظلمه يوم القيامة حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة حتى الحيوانات يقتص لبعضها من بعض ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء))^(٣).

وفي مسلم عنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتي ، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار))^(٤).

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٥٣٧٨).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٦٠٤٣).

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (٢٥٨٢).

(٤) رواه مسلم، حديث رقم (٢٥٨١).

وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء كما ورد ذلك فى الحديث^(١).

نشر الكتب :

ومما يدخل فى الإيمان باليوم الآخر نشر الدواوين وهى الكتب ، تنشر بين الناس فيختلف الناس فى أخذ هذه الكتب منهم من يأخذها باليمين ومنهم من يأخذها بالشمال وقد أشار الله إلى ذلك فى سورة الحاقة قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهُ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَائِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ * وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهُ) (١٩-٢٦) (سورة الحاقة.

الحوض :

ومما يدخل فى الإيمان باليوم الآخر الحوض: أي حوض النبي صلى الله عليه وسلم حوض واسع طوله شهر وعرضه شهر وأنيته كنجوم السماء فى كثرتها وحسنها وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك ومن يشرب منه لا يظمأ بعدها أبداً ويستمد الحوض ماءه من الكوثر ، يرد الحوض المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يشربون منه ويكون هذا الحوض فى عرصات يوم القيامة عند شدة الحر وتعب الناس وهمهم وغمهم فيشربون من هذا الحوض الذى لا يظمأون بعد الشرب منه أبداً^(٢).

ولكن بعض أمة محمد صلى الله عليه وسلم يمنعون من الشرب منه جزاء إعراضهم عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأتاولهم اختلجوا دوني - أي أخذوا بسرعة - فأقول: أي رب ، أصحابي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك))^(٣).

الصراط

ومما يدخل فى الإيمان باليوم الآخر: الصراط ، وهو جسر ممدود على النار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم بعد أن يحشر الكفار إلى جهنم ، منهم من يمر كلمح البصر كالبرق كالريح على حسب أعمالهم^(٤).

دخول الجنة أو النار :

وهي آخر المراحل حيث يدخل أهل الجنة الجنة - جعلنا الله منهم - ويدخل أهل

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٦١٦٨).

(٢) فتاوى العقيدة، ١٨١/٣.

(٣) المعجم الأوسط، حديث رقم (٦٥٩٨).

(٤) فتاوى العقيدة، ١٨٥/٣.

النار النار - أعادنا الله منها -.

والجنة والنار أعدتَا لأهلها قال تعالى: (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (١٣١) سورة آل عمران.

وقال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (١٣٣) سورة آل عمران.

وقد وردت الآيات التي تصور حال الكفار وهو يحشرون على وجوههم إلى جهنم صاغرين قال تعالى: (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (٣٤) سورة الفرقان.

وقال تعالى: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَاَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) (٩٧) سورة الإسراء.

ويزيد بلاءهم أنهم يحشرون مع آلهتهم الباطلة وأعوانهم وأتباعهم قال تعالى: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ) (٢٢-٢٣) سورة الصافات.

وقال تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) (٦٨) سورة مريم.

اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية (١):

إن الإيمان بالقيامة والجنة والنار من أصول الإيمان التي يشترك الأنبياء جميعاً وأتباعهم الصادقون في معرفتها والإيمان بها ، وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه عن إنذار رسل الله لأقوامهم عن اليوم الآخر ، فنوح عليه السلام حذر قومه يوم القيامة وضرب لهم الأمثال الدالة على وقوعه وحدوثه فقد قال لقومه: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) (١٧-١٨) سورة نوح.

وإبراهيم عليه السلام في دعائه لنفسه وأبيه وللمؤمنين: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (٤١) سورة إبراهيم.

وجاء في محاوراة موسى لفرعون: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (٥٥) سورة طه.

وهود أندر قومه وخوفهم لقاء ربهم فكذبوا: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأُتِرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنِ اطَّعْتُمْ بِشَرًّا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُّخْرَجُونَ * هِيَ هَاتِ هِيَ هَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (٣٣-٣٧) سورة المؤمنون.

وشعيب قال لقومه: (وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (٣٦) سورة العنكبوت.

وجاء في دعاء يوسف ربه: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ

(١) فرج الله عبدالباري، أبو عطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

الأحاديث فاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (١٠١) سورة يوسف.

ومؤمن آل فرعون كان مؤمناً بالبعث عارفاً به: (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ
التَّنَادِ * يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)
(٢٣-٣٣) سورة غافر.

ولكن هل ورد ذكر لليوم الآخر في كتب اليهود والنصارى ؟

لا شك أن الكتب الإلهية كانت تزخر بالتحذير والإعلام والبيان بذلك اليوم وأهواله
وما أعده الله للمتقين وللفجار في الجنة والنار وهذا ما أخبر الله به عن تلك الكتب
قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا
بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَحْسَنِهَا سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) (١٤٥) سورة الأعراف.

ولكن التحريف الذي طال تلك الكتب طال تلك المواطن فلم يبق فيها إلا نصوصاً
محرفة^(١) ففي التوراة التي تنسب إلى موسى عليه السلام لا نجد إلا نصاً واحداً
يصرح بيوم القيامة في التوراة السامرية ، ولكنه في التوراة العبرية يحتمل معاني
أخرى.

فنص السامرية يدل على أن الفصل إنما يكون يوم القيامة الذي سماه يوم الانتقام
والمكافأة ، أما نص العبرانية فإنه يجيز أن يكون الانتقام في الدنيا ويجيز أن يكون
في الآخرة ولذلك فإن فرقة ((الصدقيون)) من اليهود الذين لا يؤمنون بالتلمود ولا
يصدقون إلا بالتوراة العبرية لا يؤمنون بالبعث والنشور لعدم وجود دلالة تدل على
البعث والنشور.

أمور الآخرة من المسائل البالغة التعقيد عند اليهود إذ أن الإشارات حولها
غامضة ومفهوم تلك الإيحاءات مختلف فيه ، هل المقصود به يوم أخير بالنسبة
 لليهود وحدهم يستريحون فيه من الشقاء والحروب وينتصرون فيه على أعدائهم
انطلاقاً من النظرة العنصرية لمفهوم التمييز لديهم على سائر الشعوب كما
يزعمون^(٢).

ويستغرب كثير من الباحثين ندرة الإشارات إلى اليوم الآخر لدى اليهود كما ذكر
ذلك محمد خليفة ، وحسن ظاظا وغيرهما من المتخصصين في الفكر اليهودي^(٣).

أما مفهوم اليوم الآخر لدى النصارى فقد ارتبط باعتقادهم بمجيء المخلص

(١) موسى الزغبى، كيف حرف اليهود الكتب المقدسة، وينظر: علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة
في الأديان السابقة للإسلام.

(٢) حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ص ٩٨ - ١٠٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، وينظر: محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، وصابر طعيمة، التاريخ
اليهودي العام، وحسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، وأحمد حجازي السقا، الأرواح وحياتة القبور
بين المسلمين وأهل الكتاب.

ونهاية العالم، وهو ما يطلقون عليه ((يالاسخاتولوجيا)) ^(١).

الموت في التصور اليهودي والنصراني:

من المسائل المرتبطة بالايان باليوم الآخر والبعث حقيقة الموت والتي أخبر الله عنها صراحة في آيات عدة قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} (٥٧) سورة العنكبوت.

وحتى الأنبياء لا يسلمون من ذلك المصير المحتوم قال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (٣٠) سورة الزمر، وهو الذي يقع على الجسد والروح معاً.
وأما التصور النصراني للموت فيقسم النصارى الموت إلى قسمين:
الموت الجسدي الذي هو مفارقة الحياة ، والموت الروحي وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله كما يزعمون ^(٢).

والموت الجسدي عند النصارى مترتب على خطيئة آدم كما يزعمون ^(٣) فلو أن آدم لم يأكل من تلك الشجرة لما كتب على البشرية الموت وأن الموت ليس من صنع الله كما يعبرون – لأن الله خالد وخلق الإنسان على صورة ذاته خالداً أيضاً – وهو بخلاف التصور الإسلامي لسبب الموت بأنه قدر قدره الله على البشرية وأن الله وحده هو المستحق للبقاء قال تعالى: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٨٨) سورة القصص.
ويشترك اليهود والنصارى في جعل علاقة سببية بين موت البشرية وخطيئة آدم عليه السلام ^(٤)، وهذا اعتقاد أبطله الله تعالى في آيات عدة قال تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (٣٩) سورة النجم.

ونعتقد أن آدم عليه السلام قد تاب الله عليه واجتباها.
قال تعالى: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٣٧) سورة البقرة.

قال تعالى: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) (١٢٢) سورة طه.
واعترافهم هذا يتناقض في زعمهم جلب المسيح فداءً لخطيئة آدم عليه السلام وخطايا البشرية من بعده ، فإن كان كما يزعمون فلم لم يندرج تحت تلك العقيدة موت البشرية فإذا كان المسيح جاء ليرفع ويحمل أخطاء البشرية فلم لم يرفع الموت عن الناس ما دام قد تحمل خطاياهم التي تسبب الموت لهم كما يزعمون ^(٥).

وإذا كان المسيح قد قبل أن يصلب تكفيراً عن خطايا البشرية وذاق الموت بإرادته فلماذا صرخ حين الموت وهو على الصليب واستغاث كما تذكر كتبهم ، فهذه

(١) فرج الله عبدالباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧١.

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٧.

(٥) فرج الله عبدالباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٧٣.

عقائد باطلة ، فأدم عليه السلام تاب الله عليه واجتباها وهداه ، وعيسى عليه السلام لم يصلب ولم يقتل كما أخبر الله بذلك بل شبه لهم قال تعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) (١٥٧) سورة النساء.

وقوله تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) (١٥٧-١٥٨) سورة النساء.

كل هذه المتناقضات في عقائد النصارى تبطل اعتقادهم في أن الخطيئة هي سبب الموت كما يزعمون.

وأما اليهود فهم أشد الناس فراراً وخوفاً ورعباً من الموت وقد أخبر الله عن ذلك بقوله: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (٩٤-٩٥) سورة البقرة.

وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٦-٨) سورة الجمعة.

ومما ورد من التناقض والغموض في مفهوم اليوم الآخر عند النصارى نفي معرفة المسيح لليوم الآخر مع اعتباره إلهاً على حد زعمهم.

البعث في اليهودية:

إن المتأمل في الأسفار الخمسة للتوراة وهي أوثق الأسفار لدى اليهود لا يجد تفصيلاً لقضايا البعث وهذا بخلاف ما ذكر الله تعالى عن التوراة بأن فيها تفصيلاً لكل شيء قال تعالى: (وَكُنُبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) (١٤٥) سورة الأعراف.

وقال تعالى: (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) (١٥٤) سورة الأنعام.

وإن عدم ورود أخبار البعث بالتفصيل في التوراة بسبب التحريف الذي وقع في هذه الكتب ومن أظهر دلائل التحريف وجود نسختين مختلفتين بل ومتناقضتين للتوراة فهناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية^(١).

فعندما رجع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التي كتبها ((عزرا)) بعد عشرة قرون من وفاة موسى عليه السلام كتبها في بابل ونتج عن ذلك الاختلاف انشقاق اليهود إلى فرقتين رئيسيتين غير الفرق الأخرى المتكاثرة فظهرت التوراة السامرية ، والعبرية ، لكل فرقة قبلة خاصة بها وكتاب خاص وقبلة خاصة، فظهرت

(١) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٤٣.

شكيم عاصمة والقدس (أورشليم) عاصمة أخرى وقبلتهم كذلك إلى جبلي صهيون وجرزيم.

ويربط النصارى بين البعث والخلص كما يسمونه وأما اليهود فيرون أن البعث عند اليهود يقصد به البعث القومي لهم.

الحساب عند النصارى:

يعتقد النصارى أن المسيح هو الذى يتولى الحساب والجزاء فالمسيح صاحب الدينونة والدين ويدين الناس ويتولى حسابهم بل ويجعلون تلاميذ المسيح الاثنى عشر يجلسون معه ليدينوا أسباط بنى إسرائيل^(١).

الشفاعة عند اليهود :

لم يرد في المصادر اليهودية ما يشير إلى عقيدة الشفاعة ولكننا نجد إشارات في القرآن الكريم تبين أنهم يعتقدون أنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودات قال تعالى مفنداً ذلك الاعتقاد: (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٨٠-٨١) سورة البقرة. وقال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (١٨) سورة المائدة.

ويتبين لنا خلال هذا العرض الموجز لمفهوم اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية اختلاف تلك الشرائع عن الإسلام وندرة النصوص التى تتحدث عن الآخرة في تلك المصادر وذلك نتيجة لما طالها من كتمان وإخفاء وتحريف وفي المقابل يظهر اعتناء القرآن الكريم بهذه القضية عناية كبيرة باعتبار المعاد والاستعداد له هدف كل مسلم في هذه الحياة حتى يتحقق هدفه في حياة أبدية في النعيم الدائم في جنات الفردوس.

الشفاعة في التصور النصراني :

تكون الشفاعة عند النصارى في الدنيا من خلال عقيدة الاعتراف وتكفير الخطايا وإصدار صكوك الغفران النصرانية^(٢) كما يزعمون فالمشفوع له عند النصارى يتجه إلى الكاهن بالاعتراف وطلب المغفرة ، ويزعم النصارى أن الكاهن يجيبه ويكفر عنه خطاياهم وليس في الإسلام شيء من هذا القبيل.

(١) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ١٩٢.

(٢) أحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٥٥، وينظر: هيلين إليربي، الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ص ٦٣.

الإيمان بالقدر خيره وشره

الإيمان بالقدر خيره وشره هو الركن السادس من أركان الإيمان. والإيمان بالقدر معناه أن تؤمن بأن الله - عز وجل - قد قدر كل شيء يكون إلى مالا نهاية له ، وأنه قدره عن علم ، ولهذا قال العلماء: إن مراتب الإيمان بالقدر أربع مراتب^(١):

المرتبة الأولى: العلم ومعناها: أن تؤمن بأن الله - تعالى - عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً فيما يتعلق بفعله الذي يفعله - عز وجل - بنفسه كالخلق ، والإحياء ، والإماتة ، وإنزال المطر وغير ذلك ، أو يتعلق بفعل المخلوقين ، كأقوال الإنسان ، وأفعاله ، بل حتى أفعال الحيوان كلها معلومة لله - عز وجل - قبل وقوعها ، وأدلة هذه المرتبة كثيرة منها قوله تعالى: (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ، ومنها قوله: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) ، ومنها قوله - تعالى - (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) .

وهذا العلم من الله - عز وجل - لم يسبقه جهل ، ولا يلحقه نسيان^(٢) ، ولهذا

لما قال فرعون لموسى: (فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) ، قال: (عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) ، (لا يضل) ، أي يجهل ، ولا ينسى ما كان معلوماً ، بينما علم البشر محفوف بهاتين الأفتين ، جهل سابق ، ونسيان لاحق: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) .

المرتبة الثانية: الكتابة ومعناها: أن تؤمن بأن الله - تعالى - كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

فإن الله عز وجل لما خلق القلم ، قال له: اكتب قال رب: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(٣).

ودليل هذه المرتبة من الكتاب قوله - تعالى -: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) وقوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) .

قال أهل العلم: والكتابة لها أنواع:

- (١) فتاوى العقيدة، ١٨٨/٣.
- (٢) المرجع نفسه، ١٩٠/٣.
- (٣) سنن الترمذي، حديث رقم (٢١٤٤).

النوع الأول: الكتابة العامة وهي الكتابة في اللوح المحفوظ.

النوع الثاني: الكتابة العُمريّة.

النوع الثالث: الكتابة الحولية – أي عند كل حول: وهي التي تكون ليلة القدر.

النوع الرابع: كتابة مستمرة كل يوم وهي كتابة الأعمال فإن الإنسان لا يعمل

عملاً إلا كتب ، إما له وإما عليه.

النوع الخامس: كتابة الملائكة التي تكون عند أبواب المساجد يوم الجمعة^(١).

المرتبة الثالثة: المشيئة ومعناها: أن تؤمن بأن كل كائن وجوداً أو عدماً فهو
بمشيئة الله ، وقد أجمع المسلمون على هذا في الجملة فكل المسلمين يقولون: ما
شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قال – تعالى -: (لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِنَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ) ، إذن فأفعالنا واقعة بمشيئة الله.

المرتبة الرابعة: الخلق ومعناها: الإيمان بأن الله – سبحانه وتعالى- خلق كل
شيء ، فنؤمن بعموم خلق الله – تعالى – لكل شيء ودليل ذلك قوله تعالى -: (اللَّهُ
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} وقال تعالى -: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ).
والآيات في ذلك واضحة كثيرة: أن كل شيء مخلوق لله – عز وجل – حتى فعل
الإنسان مخلوق لله – تعالى- ، وإن كان باختياره وإرادته لكنه مخلوق لله – تعالى - ،
وذلك أن فعل الإنسان ناشئ من أمرين هما: الإرادة الجازمة ، والقدرة التامة.

فأفعالنا كلها التي نفعها ناشئة عن إرادة جازمة ، وقدرة تامة ، والذي خلق
هذه القدرة والإرادة هو الله – عز وجل- ، فلو أن الله جعلك مشلولاً ما قدرت ، ولو
صرف همتك عن الفعل ما فعلت. ولهذا قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض
العزائم وصرف الهمم.

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر له فوائد:

أولاً: تكميل الإيمان بالله فإن القدر قدر الله – عز وجل – فالإيمان به من تمام
الإيمان بالله – عز وجل -.

ثانياً: استكمال لأركان الإيمان: لأن النبي ﷺ ذكره ضمن الإيمان في حديث
جبريل.

ثالثاً: أن الإنسان يبقى مطمئناً لأنه إذا علم أن هذا من الله رضي واطمأن
وعرف أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه.

رابعاً: أن هذا من تمام الإيمان بربوبية الله ، وهذا يشبه الفائدة الأولى ، لأن
الإنسان إذا رضي بالله ربا استسلم لقضائه وقدره واطمأن إليه.

خامساً: إن الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله – عز
وجل – فيما يقدره من خير أو شر ، قال الله تعالى -: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ

(١) فتاوى العقيدة، ٣/١٩١.

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ).

سادساً: الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى، فلا
يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله^(١).

انتهى بحمد الله الباب الأول من مقرر الثقافة الإسلامية والخاص بالعقيدة
الإسلامية ومحاسنها – مختصراً – ونأتي في الباب الثاني إلى بيان مفهوم العبادة في
الإسلام ومحاسنها مقارنة بالشرائع السابقة والآثار التربوية والإيمانية للعبادات في
الإسلام، مع التنبيه إلى المفاهيم المغلوطة حول فهم العبادة في الإسلام.

(١) فتاوى العقيدة، ١٤١/٥.

الباب الثاني العبادة في الإسلام

أولاً: تعريف العبادة

العبادة في اللغة:

وأصل العبودية: الخضوع والتذلل، يُقال: طريق مُعبد، أي مذل، ومنه سُمي العبد عبداً لئله لمولاه^(١).

والعبادة أي الطاعة^(٢).

العبادة في الاصطلاح:

يُعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"^(٣).

وبهذا المعنى تكون جميع أعمال المسلم إذا تحققت فيها شروط قبول العمل عبادة لله تعالى الباطنة منها: كأعمال القلوب: كالخشية، والخوف، والإنابة، وحب الله ورسوله، والأعمال الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والحج، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من العبادات الظاهرة.

فالعبادة في الإسلام شاملة لجميع الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى سواء كانت هذه الأعمال والأفعال من أعمال القلوب، أو من قبيل الفرائض أو السنن والمستحبات أو من قبيل الآداب والأخلاق والمعاملات مع الناس.

(١) ينظر: لسان العرب، ٣/٢٧١.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، ١/٣٢٢.

(٣) العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٣٨.

ثانياً: شروط العبادة في الإسلام:

ذكر العلماء شرطين لقبول العبادة في الإسلام سواء كانت من العبادات الباطنة أو الظاهرة، متى تحققا كان العمل مقبولاً، وإذا انتفى الشرطان أو أحدهما لم يكن العمل مقبولاً وهما: الإخلاص لله تعالى، والموافقة والمتابعة لما شرعه الله عز وجل^(١).

وقد جاءت النصوص المتكاثرة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تؤكد على هذين الأصلين، فأخلاص العبادة لله تعالى، وصدق التوجه إليه، وخصوص النية والعمل من الرياء أو قصد غير الله تعالى، أصل من أصول هذا الدين. قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ [البينة: ٥].)

وقال تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) [الزمر: ١١].
وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].
وقد بين النبي ﷺ أن إخلاص العمل لله تعالى والصدق في النية عليه مدار قبول الأعمال وصلاتها، ففي الحديث يقول ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..."^(٢) الحديث.

وأمر الله جل وعلا بإخلاص العبادة لله تعالى، ونهى عن الشرك، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠].
وأما شرط المتابعة والموافقة لشرع الله عز وجل، فيقصد به أن تكون العبادة مأذوناً بها في شرع الله تعالى وعلى الكيفية التي أمر الله بها وارتضاها، والعبادات توقيفية كما ذكر العلماء بمعنى أن تكون على ما شرع الله وعلى هدي سنة نبينا محمد ﷺ، ولا عبرة بالعبادة إذا انتفى عنها هذا الشرط، بل هي مردودة على صاحبها غير مقبولة، وهو مأزور غير مأجور، وعمله إحداث في الدين، كما أخبر النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد..."^(٣).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً..."^(٤).

(١) العبودية، ص ٧٤.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (١).

(٣) البخاري، حديث رقم (٢٦٩٧).

(٤) ينظر: العبودية، ص ٧٦.

فهذان الشرطان: الإخلاص والموافقة لشرع الله تعالى على مدارهما قبول العبادة، وبهذا المفهوم الشامل للعبادة مع تحقق الشرطين تصبح حياتنا كلها عبادة لله تعالى، فطالب العلم النافع الذي يقضي وقته في تحصيله ودراسته بقصد نفع نفسه وأمته فهو في عبادة يثاب عليها، والموظف في وظيفته يقضي حوائج المسلمين في عبادة، والعامل يصدق في عمله فهو عبادة يثاب عليها، والتاجر المسلم الحافظ لحدود الله في تجارته في عبادة، والمزارع في زرعته، والطبيب، والمعلم، والراعي في رعيته، كل أولئك أعمالهم عبادة، يتقربون بها إلى الله تعالى إذا تحقق شرطاً قبول العبادة: الإخلاص، والموافقة لشرع الله تعالى.

ثالثاً: خصائص العبادة في الإسلام

تتميز العبادة في الإسلام عن سائر الأديان بخصائص عدة، يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١- ربانية المصدر:

من أخص خصائص العبادة في الإسلام أنها ربانية المصدر محفوظة لم تتغير ولم تتبدل مع مر الدهور والأزمان نتيجة لتعهد الله بحفظ كتابه وما يترتب على ذلك الحفظ من حفظ السنة والشريعة، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩].

وهذا بخلاف ما حدث في عبادات وعقائد الأديان الأخرى من تحريف وتبديل أخبر الله تعالى عنه. ومن لوازم وثمرات تلك الربانية أن ليس لأحد من الخلق الزيادة أو النقصان من تشريع العبادات في الإسلام، ومن ابتدع أمراً في الدين فهو رد عليه كما أخبر النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (١).

يقول الإمام ابن القيم: "فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه على متابعة أمره وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يرد عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثوراً، وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالأراء والأهواء" (٢).

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بمتابعته في عبادته، ولا مجال للابتداع في الدين، قال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (٣).

وقال ﷺ: "لتأخذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد عامي هذا" (٤).

فمصدر العبادات كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

٢- العموم والشمول في العبادات الإسلامية:

ومن خصائص العبادة في الإسلام أنها شاملة لجميع أعمال العبد وأقواله إذا توفرت فيها شروط قبول العبادة – التي ذكرناها آنفاً – فالعبادة في الإسلام لا تقتصر على الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد – كما يظن البعض – بل تشمل جميع مناحي الحياة، فتشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٢٦٩٧).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ٨٤/١.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٦٣١).

(٤) رواه مسلم، حديث رقم (١٢٩٧).

الظاهرة والباطنة، وكما بينا من قبل فطلب العلم نوع من أنواع العبادة، والعمل عبادة، والإحسان إلى الناس عبادة، والخلق الحسن عبادة، فكيف نجعل حياتنا كلها عبادة نثاب عليها؟

فبالنية الصادقة تتحول عاداتنا إلى عبادات، وبدون تلك النية واستشعارها تتحول عاداتنا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - إلى عادات لا نثاب عليها.

٣- اليسر ورفع الحرج:

ومن محاسن العبادة في الإسلام اليسر ورفع الحرج، وهو مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية بأكملها، وقد دل لذلك عدد من نصوص الكتاب والسنة، قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج: ٧٨].

فالعبادة في الإسلام تقوم على هذا الأصل العظيم من اليسر ورفع الحرج والمشقة والعنت ووضع الأصار والأغلال عن أعناق المكلفين، والتي كانت في الديانات السابقة، وقد علم الله تعالى المؤمنين هذا الدعاء، فقال تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) [البقرة: ٢٨٦].

وقد أخبر الله تعالى عن هذا اليسر للمسلمين، قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) [النساء:

٢٨].

ولم يكلفنا الله إلا وسعنا، قال تعالى: (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [الأنعام:

١٥٢].

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذا الأصل في وصفه لهذا الدين بقوله: "إن هذا الدين

يسر"^(١).

وقد ظهرت هذه الخاصية في كل عبادة من العبادات الإسلامية والتي يطول

حصرها^(٢)، ونذكر منها على سبيل المثال ما ورد من أمور التيسير في الطهارة

والصلاة، من مشروعية التيمم، والمسح على الخفين، والجمع والقصر في الصلاة

للمسافر، وما ورد من التيسير في عبادة الصيام من إباحة الفطر للمسافر والمريض

والحامل والمرضع، وما ورد من جوانب اليسر في عبادة الزكاة أنها لم تشرع في أي

مال إلا بعد بلوغ النصاب ومضي الحول عليه، وأن لا تؤخذ كرائم أموال الناس في

الصدقة^(٣).

ويقول ﷺ لمن قدم أو أخر من أعمال يوم النحر: "أفعل ولا حرج"^(٤)، تخفيفاً

على أمته ﷺ.

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٩).

(٢) ينظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، عبدالعزيز محمد عزام.

(٣) وقد أفرد البخاري في كتاب الزكاة باباً بعنوان: (لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة).

(٤) سنن الترمذي، حديث (٨٨٥).

وهذا بخلاف ما حدث من جوانب العنت والمشقة في عبادات اليهود والنصارى.

نتيجة لما آلت إليه أديانهم من التحريف والزيادة والنقصان، ونتيجة لما أدخله الأخبار والرهبان والقساوسة من تشريع بشري في عباداتهم، فقد ظهرت جوانب عديدة من ألوان المشقة والعسر مما أدى إلى ثورة أوربا في العصور الوسطى على الكنيسة وتشريعاتها؛ وجوانب العسر والمشقة في عباداتهم كثيرة ويصعب حصرها، يشير أحمد التهامي إلى جانب من المشقة والعسر في عبادات اليهود؛ فيقول: ((فالصلاة عند عامة اليهود وعند المتمسكين بالدين خاصة عمل شديد التعقيد، لا يؤدي على الوجه الصحيح إلا إذا غطي المصلي رأسه دليلاً على الخضوع والخشوع، وربط ذراعيه وجبهته بعلب صغيرة تحتوي على لفائف بها فقرات من سفر الخروج))^(١).

وتظهر كذلك المشقة والعسر في الاستعداد للصلاة في اليهودية؛ وهذا ما أشار إليه أبو الحسن الندوي نقلاً عن دائرة المعارف اليهودية، إذ ورد فيها: ((كان اليهود يقومون باستعدادات خاصة قبل الصلاة، فقد كان الصالحون القدامى منهم يبذلون فيها ساعة كاملة، وكما كان من اللازم، أن يغسلوا الجسد قبل الصلاة بحبيرة بالغة..))^(٢).

فقد شددوا على أنفسهم في أمر الصلاة بما لم يأمر به الله، وإنما هو من فعل أبحارهم، نتيجة لتحريف كتبهم المقدسة.

ويُتخذ الصوم في اليهودية وسيلة من وسائل إذلال النفس وإرهاق الجسم^(٣).

ويذكر الهواري وسائل إذلال النفس في اليهودية في أيام صيامهم؛ فيقول: ((وحتى تتحقق الغاية من الصوم، وهي "إذلال النفس"، كان الناس عامة يُذلون أنفسهم بتمزيق ثيابهم وارتداء مسح ووضع الرماد أو التراب على رؤوسهم))^(٤).

فهل وضع الرماد والتراب على الرؤوس من الدين؟ وهل تمزيق الثياب وتحريم الاغتسال، والتنظف من شرع الله؟

إن ما يفعله اليهود في صيامهم ليس من الدين في شيء؛ فالله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان، ولم يشرع له أن يهين نفسه ويذلها.

ولم يكن الصيام في الإسلام تعذيباً للنفس، أو رمزاً للحداد والحزن كما ورد في طبيعة الصيام في اليهودية المحرفة؛ وإنما شرعه الله لمقصد عظيم لتحقيق تقوى الله تعالى. وقد بين أبو الحسن الندوي ما تميّزت به الشريعة الإسلامية في هذا الجانب؛ بقوله: ((أما الشريعة الإسلامية، فلم تعتبر الصوم إيلاماً للنفس، ولا عقوبة من الله، ولم ترد في القرآن ولا في السنة كلمة تدل على ذلك، بل اعتبرته عبادة يتقرب بها

(١) الصلاة في الأديان الثلاثة، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) الأركان الأربعة، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٣) اليهودية، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٤) الصوم في اليهودية، مرجع سابق، ص ٣٧.

العبد إلى الله، ولم تشرع من الأحكام الغليظة المجحفة، ومن القيود القاسية العنيفة، ما تجعله مرادفاً لتعذيب النفس وإرهاقها، وحملها على ما لا طاقة لها به، بل سنّت التسحر، واستحبّت تأخيرها: إلى أن يَبَيَّنَ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وسنّت تعجيل الفطور، وأباحّت النوم والراحة في الليل والنهار، والاشتغال بالصناعة والتجارة، والأعمال المفيدة المباحة، خلافاً لليهودية، التي فرضت الإضراب عن العمل، والانقطاع للعبادة^(١).

ومن جوانب المشقة في العبادات اليهودية في جبي الصدقات ما تفعله ((العصابات)) اليهودية من جمع العشر من الأراضي الزراعية بالبطش والقوة، وهذا ما ذكره أبو الحسن الندوي نقلاً عن الكاتب اليهودي "مور" في كتابه اليهودية، حيث يقول: ((كان علماء اليهود يجمعون هذا العشر عن طريق عصابات قوية، يوفدونها إلى الأراضي الزراعية نفسها، فتأخذ قهراً وبطشاً))^(٢).

وتستحوذ الكنيسة ورجالها، في اليهودية والنصرانية، على الصدقات، حيث تصرف هبات لرجال الكنيسة لإعاشتهم ولإنشاء المعابد والكنائس، ولتحقيق أهداف الكنيسة المتعددة، ولقد كانت هذه الصدقات من أبرز واردات الكنيسة المالية، وقد بين الله تعالى حال كثير من الأقباط والرهبان، ولأهمهم في أكلهم أموال الناس بالباطل، وحذر المسلمين من اتباع نهجهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [التوبة: ٣٤].

وفي تفسير القرطبي لمعنى أكلهم أموال الناس بالباطل، المذكور في الآية السابقة، يقول: ((قيل: إنهم كانوا يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضاً باسم الكنائس والبيع وغير ذلك؛ مما يوهمونهم أن النفقة فيه من الشرع والتزلف إلى الله تعالى، وهم خلال ذلك يحجبون تلك الأموال.. وقيل: كانوا يأخذون من غلاتهم وأموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع..))^(٣).

ويذكر محمد أنس الزرقا أن: العشر كان ((لإعاشة رجال الدين وعائلاتهم وموظفي المعابد وللإنفاق على الطقوس الدينية. وهذا ما تؤكد المراجع اليهودية والمسيحية دون تردد كما يؤكد تاريخ الأقسام القديمة))^(٤).

٤ - الثبات وعدم التبديل والتغيير:

من خصائص ومحاسن العبادات في الإسلام ثباتها وبقاؤها على الصورة التي شرعت عليها منذ نزول الوحي بما فيه من تشريع على نبينا - صلى الله عليه وسلم-

(١) الأركان الأربعة، مرجع سابق، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢) الأركان الأربعة، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ١٢٢/٨.

(٤) مناهج المستشرقين، مرجع سابق، ٢١٩/٢.

لم تتبدل تلك العبادات ولم تتغير فالصلاة التي يؤديها المسلم اليوم هي الصلاة في هيئتها التي أداها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم تتبدل ولم تتغير، والزكاة والصوم والحج وسائر العبادات الإسلامية وهذا بخلاف ما لدى اليهود والنصارى في تشريعاتهم، فأما اليهودية فقد ساهمت أجيال عديدة في تغيير وتكوين شريعة اليهود المحرفة على مرّ العصور، ويلقي أبو الحسن الندوي الضوء على مدى التبديل الذي مرّت به الصلاة في اليهودية؛ فيقول: ((إن تاريخ تشريع الصلاة وأحكامها، وهيئتها ووضعها، يكتنفه الشيء الكثير من الغموض في تاريخ اليهود وديانتهم، يصعب معه عرض صورة واضحة واحدة للصلاة، في جميع العصور والأجيال))^(١).

ولقد تطورت الطقوس والعبادات على وجه العموم عند بني إسرائيل جنباً إلى جنب مع تبدل العقائد، فلم تكن للصلاة هيئة محددة، وكانت أهم عباداتهم تقرب القرايين^(٢)؛ والأصل في الصلاة اليهودية أن تكون فردية، ولكن تبدلت مع الزمن إلى جماعية ترتل فيها الجماعة ابتهالات^(٣).

وقد أضاف اليهود إلى صلواتهم عبر العصور كثيراً من النصوص الشرعية^(٤)؛ ولا يقف التغيير والتطوير في التشريع اليهودي عند حد، بل ليس هناك ما يمنع من إضافات وتعديل في المستقبل، كما سبق لها في ماضيها الطويل؛ ومن التغييرات التي مرت على الصلاة في اليهودية أن أدخلت الموسيقى في صلواتهم، ثم زاد التغيير، وقللت قيمة حركات الجسم، وألغيت نظام تغطية الرؤوس واستعمال الأردية، واقتصرت الصلاة عندهم على السبت، وألغيت القيام والسكون وانحناء الرأس^(٥).

وأما في النصرانية فلم يكن تشريع الصلاة فيها بأقل حظاً من سابقه في اليهودية؛ فقد مر تشريع الصلاة في النصرانية بعدة مراحل تبعاً للتغيير الذي حدث لأصل التشريع لديهم.

ولقد كان التبديل والتغيير شاملاً للعقائد والشرائع النصرانية على مرّ العصور، وقد لعبت المجامع النصرانية دوراً بارزاً في تغيير العقائد والشرائع النصرانية مع مرور الزمن، وقد شمل ذلك الصلاة التي لم تكن لها هيئة ثابتة معينة، وإنما تخضع للأهواء والعادات، ويؤكد ذلك السعيد إبراهيم، نقلاً عن أحد علماء النصارى؛ إذ يقول: ((كانت العادة أن يصلي الناس إما وقوفاً والأيدي مرفوعة قليلاً نحو السماء، وإما ركوعاً على الركبتين، وإما سجوداً والوجه على الأرض))^(٦).

(١) الأركان الأربعة، مرجع سابق، ٦٣.

(٢) ينظر: محمد الهواري، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، ١٢٥، ١٢٧.

(٣) ينظر: محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مرجع سابق، ١٢٥.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ١٢٧.

(٥) ينظر: أبو الحسن علي الحسيني الندوي، مرجع سابق، ٦٥.

(٦) التشريع في اليهودية والنصرانية والإسلام، دراسة مقارنة، ١٠٢.

فأين هذه الهيئة الآن في صلواتهم، والتي لم يعد فيها ذلك الركوع والسجود الذي تتميز به الصلاة في الإسلام؟

ولم يكن للصلاة في النصرانية عدد معيّن، أو أوقات محددة تقام فيها الصلاة؛ وإنما خضع ذلك للزمن وحكم آباء الكنيسة وقرارات المجامع، ويؤكد ذلك أحدهم، قانلاً: ((وبين عام ٣٥٨م و٣٦٢م لعب القديس "باسيليوس" الكبير دوراً كبيراً في تأليف الصلاة الكنسية الجماعية))^(١).

فقد كانت الكنيسة في أول أمرها وحتى نهاية القرن الرابع تشتغل بما يُسمى بالتسبيح وتلاوة "المزامير" دون تحديد لصلوات أو عدد معيّن، فلما فترت العاطفة الدينية ابتداءً نظام تحديد صلوات وتعيين مزامير لكل صلاة كنظام على رجال الكنيسة^(٢).

هذا هو واقع الحال بالنسبة للتشريع بصفة عامة في اليهودية والنصرانية، وتشريع الصلاة بصفة خاصة.

وأما الطهارة فينظر النصارى للطهارة نظرة سطحية، وعلى أنها أمور رمزية ثانوية لا قيمة لها، ولا تعتبر شرطاً لصحة صلواتهم؛ بل يعتبرون القذارة وعدم الاهتمام بالنظافة من وسائل التقرب إلى الله - والعياذ بالله من ذلك - ويرون أن النظافة والحرص عليها والتجمل من عمل الشيطان، وهم بذلك يخالفون، ويعاكسون تمام المخالفة نظرة الإسلام إلى النظافة، وقد يصل الغلو ببعضهم إلى اعتبار ذلك أمراً من عمل الدين، وهذا أحد الرهبان يثني على الآخر؛ -كما ينقل ذلك القرضاوي- فيقول: ((يرحمه الله لقد عاش طول عمره ولم يقترف إثم غسل الرجلين))^(٣).

وفعلهم هذا مخالف لما كان عليه المسيح - عليه السلام - وهذا ما أشار إليه ابن القيم، بقوله: ((فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض. وطوائف النصارى عندهم أن ذلك غير واجب...))^(٤).

وبهذا نرى سمو الإسلام في تشريعاته كلها، وفضل الإسلام على شرائع اليهود والنصارى المحرفة، قال تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ...) [النساء: ٤٣].

٥- الوسطية والاعتدال:

(١) "الأرشمندريت إلياس"، العبادة المسيحية، ص ٦٢.
(٢) ينظر: السعيد إبراهيم عبد الرازق طه، مرجع سابق، ١٠٤.
(٣) العبادة في الإسلام، ٢٣٠.
(٤) المرجع نفسه، ١٩٤.

وقف الإسلام موقف الاعتدال والحق في أمور العبادة، فلم يأمر بالانقطاع عن الناس، وترك ما فيه مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا

ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص: ٧٧].

وأحل الله الطيبات وحرم الخبائث، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [المائدة: ٨٧].
وقال تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ...) [الأعراف: ٣٢]..

وقد وردت أحاديث كثيرة تدعو إلى التوسط والاعتدال في العبادة، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: ((دخل النبي - ﷺ - فإذا حبل ممدود بين السارينين، فقال: (ما هذا الحبل؟) قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت. فقال النبي - ﷺ - : (لا، حلوه، ليُصلَّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقع)^(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد، فدخل علي رسول الله - ﷺ - فقال: (من هذه؟) قلت: فلانة، لا تنام من الليل - فذكرت من صلاتها - فقال: (مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا)^(٢).

وقد نهى النبي - ﷺ - عن فعل النصارى في التبطل، وترك الزواج، ففي صحيح مسلم عن أنس - رضي الله عنه - : ((أن نفرأ من أصحاب النبي - ﷺ - سألوا أزواج النبي - ﷺ - عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا أكُل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي. وأنام. وأصوم. وأفطر. وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٣).

وأما في النصرانية فمن آثار تحريف أهل الكتاب لكتبهم أن ضلوا عن الحنيفية السمحة، وابتدعوا لهم رهبانية ما فرضها الله عليهم، ولا أمرهم الله بها، قال تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثِرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَءَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ

(١) البخاري، مع الفتح، حديث رقم ١١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، حديث رقم ١١٥١.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم (١٤٠١).

أَجْرَهُمْ^ط وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد: ٢٧).

لقد ابتدعوا رهبانية من عند أنفسهم، يقول القرطبي: ((وذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع))^(١).

وإن الرهبانية التي ابتدعوها تقوم على أمور لم يشرعها الله تعالى من تعذيب للجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب، والتبتل وعدم الزواج، والانقطاع في الأديرة^(٢)؛ ثم ما لبثت حياة الأديرة أن تطرق لها الفساد والفسوق، وقد استفاضت أخبار فساد هذه الأديرة^(٣).

فالنصرانية في الرهبانية التي ابتدعوها، تأثروا في ذلك بما عليه نظام الرهبة في الديانتين الهندوسية والبوذية^(٤). إن تعاليم الإسلام أبعد ما تكون من فعل زهاد ورهبان النصارى، ومما يؤكد ذلك هو موقف الإسلام من الرهبانية^(٥).

فقد ندد الله تعالى بفعل كثير من الأحرار والرهبان، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ [التوبة: ٣٤].

٦- الوضوح والبيان في العبادات الإسلامية:

فليس فيها ما في العبادات في الأديان الأخرى من الغموض والاضطراب فالصلاة في اليهودية والنصرانية لا تدل على ما تدل عليه في الإسلام من مقاصد عظيمة أشرنا إلى جانب منها في النقاط السابقة، بل مجرد أدعية ليس لها ضابط معين ولا مدلول موحد، فعندما نتبع النصوص الخاصة بالصلاة في اليهودية والنصرانية لا نجد ما يدل على الصلاة بمعناها الشرعي في الإسلام، فليست أكثر من أقوال وأدعية لا ترتبط بوقت محدد، وتختلف من إنجيل إلى آخر، ومن طائفة إلى أخرى.

(١) الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ٢٦٣/١٧.

(٢) الأديرة النصرانية: مفردها دير، وهو خان النصارى، وهو مكان خاص عند النصارى يعزل فيه الرهبان والراهبات، وأول من أنشأ الأديرة البوذيين والهندوس. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ٥٥٥/١٠.

(٣) ينظر: مصطفى فوزي غزال، فضائح الكنائس، ص ٥٢ - ١١٠.

(٤) ينظر: أحمد شلبي، المسيحية، مرجع سابق، ٢٤٦.

(٥) أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص ١١٣ - ١٣٤.

فالهدف من صلاتهم تحقيقاً لأغراض شخصية وحماية من الزلازل وطلباً للحاجات، وليس تأدية لعبادة مفروضة كما في الإسلام تؤدي طاعة الله واستجابة لأمره.

ولا تقل الصلاة في النصرانية تعقيداً وغموضاً عما هي عليه في اليهودية، إذ يشترط لصلاتهم توسيط الهيكل، وتقريب الكهانة، وتقديم إتاوات، وهذا ما لا نجده في الإسلام، فلا يعترف الإسلام بطبقة كهنوتية تحتكر لنفسها تعليم الدين وإقامة شعائره من دون سائر الناس،

ولا تتوقف الصلاة في الإسلام على توسيط هيكل أو تقريب كهانة؛ فيصلي المسلم حيث أدركه موعد الصلاة

ولا تقل النصرانية عن اليهودية اضطراباً وتحريفاً في تشريع عبادة الصوم؛ فمع أن الله تعالى قد أخبر بفرض الصيام على من كان قبلنا من الديانات والأمم، إلا أن المتتبع لمصادرهم لا يجد نصاً صريحاً يؤكد وجوب الصيام عليهم، ويشير إلى هذه الحقيقة محمد عزت الطهطاوي؛ بقوله: ((لا يوجد في الأناجيل نص يقضي بفرض الصوم، وإنما فيها ذكره ومدحه واعتباره عبادة فقط، وذلك كالنهى عن الرياء وعدم العبوس في الصوم))^(١).

وهذا يدل على التحريف الذي تعرضت له كتب النصارى ومصادرهم، وذلك لأن أصل الصيام مفروض على من كان قبلنا ولم يكن أمراً اختيارياً. يصف العقاد صيام النصارى؛ بقوله: ((ينقسم الصيام إلى إمساك عن الطعام كله، وإمساك عن ألوان معينة كلحوم الحيوان، ومن الصيام ما يبدأ عند منتصف الليل، ومنه ما يكفي فيه بوجبة يومية، ولا حرج من التدخين، ويترك الخيار للصائم التابع للكنائس الغربية في كثير من الأحوال))^(٢).

ويصف الإمام القرافي تحريف النصارى للصيام؛ فيقول: ((زاد النصارى في بداية صومهم أسبوعاً تكفيراً عن هرقل الذي قتل اليهود، وهذا من التلاعب بالدين يوجبون ما لم يوجبه الله، ويحرمون ما لم يحرمه الله، ويزيدون في قربات الله ما لم يأذن به))^(٣).

ولم يقف ابتداء وتحريف الكنائس عند حد معين، بل تعداه في تحديد أصناف الممنوعات في نهار الصيام بما يُسمى (البهريز)، كما ذكر ذلك عبد الرحمن بك باجه زاده، حيث قال: (("البهريز" الذي اخترعته رؤساء النصارى في مجامعهم هو عبارة عن ترك أكل اللحوم إلا السمك بسائر أنواعه، وأكل الزيت مع كافة المأكولات، وشرب الماء والدخان، والقهوة، والخمر))^(٤).

(١) النصرانية والإسلام، ص ٨٢.

(٢) الإسلام دعوة عالمية، المكتبة العصرية، لبنان، ص ٣٤.

(٣) الأجوبة الفاخرة، ص ١٨٣ الحاشية.

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق، وبهامشه الأجوبة الفاخرة للقرافي، وهداية الحيارى لابن القيم، ص ٤٦.

ولا تقل الصدقات غموضاً واضطراباً في الأديان الأخرى عن الصلاة والصيام، فالصدقات مقارنة بما ورد في التشريع الإسلامي من تحديد دقيق للأموال التي تجب فيها الزكاة، وتحديد مصارف الزكاة، وكيفية جبايتها، فإن الصدقات في اليهودية والنصرانية كانت غامضة ومتناقضة، وذلك نتاجاً للتحريف الذي تعرضت له كتبهم؛ فمن الغموض في التشريع اليهودي: أن تجد المفاهيم معكوسة في صرف الصدقات، فبدلاً من أن تؤخذ الصدقات من الأغنياء وتصرف للفقراء كما في الإسلام، نجد الصدقات في اليهودية تؤخذ من عامة الشعب، ومن الفقراء، وتُعطى لرجال الدين، حيث كان رجال الدين من "اللاويين" يستحوذون على الجزء الكبير من الزكاة. (١).

ولا يقل نظام الصدقات في النصرانية غموضاً عما هو عليه في اليهودية، فلم يرد في الأناجيل تنظيم دقيق، ولا حتى ذكر للزكاة المفروضة، وكل ما فيها دعوة للعطف والإحسان للفقراء من غير وجود نصوص إلزامية في ذلك، والأمر فيها اختياري يعود لرغبة المحسن؛ وتبعاً للتحريف الذي حدث في تعليم الصدقات في التوراة، فقد أحدث رجال الكنيسة تنظيمات خاصة في كتبهم لتحقيق مصالحهم، وليكونوا هم أول المستفيدين من هذه الصدقات، ويصف السعيد إبراهيم وضع الصدقات في النصرانية، بقوله: ((ظهرت المناداة بالعشور كما كانت في اليهودية حينما أحست الكنيسة ورجالها أن لهم اليد الطولى في الدولة)) (٢).

وبهذا نرى مدى الغموض، والتحريف في تعاليم الصدقات في اليهودية والنصرانية، يقابله الوضوح والبيان في نظام الزكاة والصدقات في الإسلام - على الوجه الذي سبق أن بيّنته -.

٧ - نفى الوسطاء بين العبد وربّه:

ومن خصائص العبادة في الإسلام ألا واسطة بين العبد وربّه عند تأديتها، فلا حاجة إلى توسيط رهبان ولا دجالين ولا شفعاء، كما هو حادث في عبادات الأديان الأخرى والفرق المنحرفة التي تتخذ وسطاء بينها وبين الله تعالى، فالمسلم يتوجه مباشرة بصلاته ودعائه وسائر عباداته إلى الله جل وعلا، القريب من عبده إذا دعاه، قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦].
ويأمرنا تعالى بدعائه مباشرة دون اتخاذ وسطاء، قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠].

وقد ورد في السنة ما يدل على استجابة الله تعالى لدعاء وعبادة عبده إذا سأله دون وسيط، قال ﷺ: "إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يعطى؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر

(١) الأركان الأربعة، مرجع سابق، ١٣٩.

(٢) التشريع في اليهودية، مرجع سابق، ص ١٣٢.

يغفر له؟ حتى ينفجر الصبح" (١).

فالعبادة في الإسلام صلة مباشرة بين العبد وربّه، فليس فيها وساطة مخلوق
مهما كانت منزلته عند ربّه، ولو كان من أنبياء الله تعالى، فعجباً لمن اتخذوا الزنادقة
والعرافين والكهان وأصحاب القبور من الصالحين والمنحرفين وسطاء بينهم وبين
الله تعالى.

فلا مكان للوسطاء في الإسلام، ويشير القرضاوي إلى هذه الخاصية فيقول:
"لا مكان لهؤلاء؛ لأن الله في عقيدة الإسلام أجل وأعلى من أن يكون له وسطاء أو
شفعاء يعلمونه من أمر الناس بما لم يكن يعلم، أو يوجهون إرادته إلى ما لم يكن
يريد، وهو سبحانه أكرم من أن يدع رحمته وجنته غنيمة لهؤلاء الدجالين المضللين
يوزعونها بالأسهم والقراريط، فله وحده الخلق والأمر، وله وحده الملك والملك، وله
وحده العقوبة والعفو" (٢).

والعبادة في الإسلام لا يشترط فيها ما ابتدعه اليهود والنصارى من توسط
الهيكل وتقريب الكهانة، وتقديم إتاوات، وهذا لا نجده في الإسلام؛ فالإسلام لا يعترف
بطبقة كهنوتية تحتكر لنفسها تعليم الدين وإقامة شعائره من دون الناس ولا بطبقة أو
أفراد يكونون وسطاء بين العبد وخالقه.

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٧٥٨).

(٢) القرضاوي، العبادة، ص ١٦٠.

رابعاً: الآثار الإيمانية والتربوية للعبادات في حياة المسلم:

نستعرض جانباً من العبادات في الإسلام لبيان الآثار التربوية والإيمانية في عدد منها ومن تلك العبادات: الصلاة والزكاة والصوم والحج.

الآثار الإيمانية والتربوية للصلاة في حياة المسلم:

- ١- صيانة المسلم من الشياطين التي لا قبل له بها.
- ٢- راحة البال وهدوء الفكر وواحة الأمان من الهم والغم والقلق، ويترتب على هذا طمأنينة النفس واستقرار القلب^(١).
- ٣- لذة مناجاة الله تعالى، والسعادة بالوقوف بين يديه، والالتذاد بذكركه والشعور بالقيام بالواجب العظيم^(٢).
- ٤- تربية النفوس على الصبر وتحمل المشاق والصبر على طاعة الله تعالى، ففي القيام بالوضوء والغسل في أوقات البرد الشديد، والخروج إلى الصلاة عند انخفاض درجات الحرارة أو ارتفاعها فيه ما يعود النفس على الصبر (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى) [طه: ١٣٢].
- ٥- لما خلق الإنسان ضعيفاً كان في أمس الحاجة إلى تقوية صلته بالعزیز الجبار، ليقويه ويجبر ضعفه ويسدد خطاه، والصلاة تقوي صلة الإنسان بربه وتقربه إليه، ففي الحديث الصحيح: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء فقم أن يستجاب لكم)^(٣).
- ٦- ديمومة صلة الإنسان بربه، فتوزيع الصلاة بين أوقات الليل والنهار يجعل المرء دائم الصلة بربه.
- ٧- والصلاة نور في القلب، ومن الآثار التبعية لاستنارة القلب انشرح الصدر واستنار الوجه وظهور البهاء والبهجة عليه، لحديث أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: (والصلاة نور)^(٤).

قال النووي: "وقيل: معناه: أنها تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة،

(١) ينظر: أركان الإسلام لوهبي غاوجي ١٦٢/١.

(٢) رفعت فوزي، العبادات: أحكامها وبيان آثارها في بناء المجتمع الإسلامي، ص ٦٠.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (٤٧٨).

(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ٢٠٣/١ رقم ٢٢٣.

ويكون في الدنيا أيضاً على وجهه البهاء، بخلاف من لم يصل"^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: " أي نور في القلب، وإذا استنار القلب استنار الوجه وانشرح الصدر، ولهذا قال الله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) [البقرة: ٤٥]"^(٢).

٨- ومن محاسن الصلاة المساعدة في حل المشاكل النفسية للمرء، فهي (من أكبر العون على الثبات في الأمر)^(٣).

وإذا حزن الإنسان أمرٌ وضاق عليه فإنه يفزع إلى الصلاة، وذلك لأن القلب يستنير بالصلاة، فيستنير الوجه وينشرح الصدر، ويجد الإنسان الدنيا أمامه سعة لا نهاية لها^(٤)، قال تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) [البقرة: ٤٥].

٩- ومن الآثار التربوية للصلاة، فهي تربي النفس على طاعة الخالق، وتعلم العبد آداب العبودية وواجبات الربوبية، بما تغرسه في قلب صاحبها من قدرة الله وعظمته وبطشه وشدته ورحمته ومغفرته^(٥).

١٠- ومن محاسن الصلاة ما فيها من الأخوة والتآلف، ففي اجتماع المصلين خمس مرات في اليوم والليلة ما يشير إلى التآخي والاتحاد واتفاق الكلمة واجتماع الأمر.

١١- ومن محاسنها ما فيها من معنى المساواة، ومحاربة التمييز لاسيما العنصري أو الطبقي، لأن الفقير يقف بجانب أخيه الغني بلا تمييز بينهما، وكذا الخادم وسيده، ليقون الجميع أنهم عند الله سواء، فلا تفاضل إلا بالتقوى.

فلا وجود للتفرقة داخل المسجد، لا كما تفعل الكنيسة النصرانية والكنيس اليهودي من وجود كراسي محددة للرهبان، ثم من يليهم من طبقات المجتمع، ثم عامة الناس، وبعض الطبقات لا يسمح لهم بالجلوس في مقدمة الكنيسة أو وسطها، بل يخصص لهم مكاناً في القسم الأخير من الكنيسة، وهو ما يُسمى "بالنارتكس" أو الرواق^(٦).

الآثار الإيمانية والتربوية للزكاة في حياة المسلم:

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١/١٠١.

(٢) من أحكام الصلاة، ص ٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٥٢.

(٤) من أحكام الصلاة للشيخ محمد بن عثيمين ص ٥.

(٥) الصلاة للدكتور عبد الله الطيار ص ٢٥.

(٦) ينظر: "الأرشمندت إلياس"، العبادة المسيحية، مرجع سابق، ص ٢٩.

١- زيادة الإيمان في قلب المزكي، فإن إخراج الزكاة فيه طاعة الله وامتنال لأمره، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(١).

٢- تزكية المزكي ظاهراً وباطناً:

أما تزكية باطنه فذلك أن إخراج الزكاة إخراجاً للمزكي نفسه من الطمع والجشع والإمساك، وكلها أمراض قلبية و صفات مذمومة شرعاً، فانتشاله منها تطهير لباطنه، وفي حديث أنس -رضي الله عنه- قال: أتى رجل من تميم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله! إنني ذو مال كثير وذو أهل ومال، وحاضرة، فأخبرني كيف أصنع وكيف أنفق؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسكين والجار والسائل)^(٢).

وأما عناية الزكاة بمظهر المزكي فذلك أن أدائها من أسباب دوام المال ونموه وازدياده، وفي استمراره في الغنى عناية لظاهرة.

٣- تطهر النفس من داء الشح ورذيلة البخل، فالشح آفة نفسية، وقد ذمه القرآن الكريم: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا) [الإسراء: ١٠٠]، (وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ) [النساء: ١٢٨]، ومن محاسن الزكاة الحميدة التصدي لهذه الآفات وتطهير النفس منها^(٣).

٤- تربية المسلم على البذل والسخاء والإنفاق في مجالات أخرى، كيلا يقتصر إنفاقه على الزكاة، كما قال تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [البقرة: ٣]، (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٤].

٥- خلق الله الإنسان على حب الدنيا، والركون إليها (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) [القيامة: ٢٠]، وبما أن هذه الدنيا فانية، فقد جاءت الزكاة لعلاج القلوب من حب الدنيا، والسمو بها إلى التعلق بالآخرة التي لا تفتنى^(٤).

٦- تطهير المزكي من الآثام والمعاصي، قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة: ١٠٣].

٧- النجاة من النار ودخول الجنة، وإرث نعيمها، فالزكاة من الأعمال الصالحة، وصالح العمل سبب من أسباب دخول الجنة بإذن الله تعالى، قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) [المؤمنون: ١ - ٤]، إلى قوله:

(١) مختصر الفقه الإسلامي ص ٥٩٤.

(٢) رواه أحمد، ٣٠٧/١.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته ٧٣٢/٣.

(٤) فقه الزكاة ص ٨٦٤.

(أَوْلَيْكَ هُمْ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [المؤمنون: ١٠- ١١].

٨- مضاعفة الأجر، وتكثير الثواب، وزيادة الحسنات (١)، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٢٧٧]، وقال: (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ١٦٢]، والآيات في هذا كثيرة جداً.

٩- الفوز برحمة الله، قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: ١٥٦].

١٠- الفلاح والسعادة، كما في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) [المؤمنون: ١ - ٤].

١١- الأمن من أهوال يوم القيامة كالخوف والفرع والهلع، فمن المعلوم أن يوم القيامة أهوال وشدائد وكروب ومواقف عصبية، والإنسان في أمس الحاجة وقتئذ إلى كل ما ينقذه من الموقف، فإما جنة أو نار، فتأتي الزكاة لإنقاذه مما هو فيه بكشف ما نزل به وصرف المخاطر المحدقة به، كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٢٧٧]

الآثار الإيمانية والتربوية للصيام في حياة المسلم:

- ١- الصيام مدرسة خلقية كبرى يتدرب فيها المؤمن على خصال كثيرة، فهو جهاد للنفس، ومقاومة للأهواء ونزغات الشيطان التي قد تلوح له.
- ٢- تربية الإنسان على خلق الصبر عن المحرمات، وكذا الصبر على الأهوال والشدائد التي تعرض له^(١).
- ٣- تربية النفوس على الأمانة ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، إذ لا رقيب على الصائم وامتناعه من الطيبات إلا الله تعالى.
- ٤- ومن آثار الصوم تقوية الإرادة وشحن العزيمة.
- ٥- تعويد النفس على النظام والانضباط، لأن الصائم يتناول الطعام والشراب في وقت محدد.
- ٦- تنمية الإرادة، وتقوية الاحتمال وإيثار عبادة الله على الراحة، وكلها عناصر مطلوبة في التربية الإسلامية.
- ٧- تربية النفوس على الأخلاق الفاضلة كالصبر والحلم والجود والكرم.
- ٨- تعريف العبد بحقيقته، وأنه عبد ضعيف لا يستغني عن خالقه طرفة عين^(٢).
- ٩- شعور المسلم بوحدة الأمة الإسلامية، ومظاهر وحدة المسلمين في عبادة الصيام كثيرة منها: كيفية الصيام، ومنها وقت البدء به ووقت الانتهاء منه، ومنها: الانتصار على الأهواء والشهوات، ومنها: الإقبال على العبادات، وغير ذلك^(٣).
- ١٠- تنمية عاطفة الرحمة والأخوة، والشعور برابطة التضامن والتعاون بين المسلمين، فيدفعه إحساسه بالجوع والحاجة إلى صلة الآخرين والمساهمة في قضاء حاجاتهم، فتقوى أواصر الروابط الاجتماعية بين الناس، ويتعاون الكل في معالجة الحالات الطارئة^(٤).
- ١١- الصيام وسيلة للتقوى، فهو شعبة عظيمة من شعب التقوى كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣].
- ١٢- مجاهدة النفس وتخليصها مما علق بها من شوائب الدنيا وآثامها^(٥).
- ١٣- كسر حدة الشهوة والأهواء وتهذيبها وضبطها^(٦).

(١) رفعت فوزي، الصوم: أحكامه وأثره في بناء المجتمع المسلم، ص ١١.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٣٩/١٥.

(٣) ينظر: الصيام ورمضان في السنة والكتاب، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٣٦٧.

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٤٠/١٥.

(٥) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته ٥٦٨/٢.

(٦) الفقه الإسلامي وأدلته ٥٦٨/٢.

- ١٤ - تطهير البدن من الأخلاط الرديئة، ويكسبه صحة وقوة، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء، بل وعالجوا بذلك أمراضاً كثيرة^(١).
- ١٥ - تطهير النفوس وتركيتها من الأخلاق السيئة، كالأشر والبطر والبخل.
- ١٦ - تتألم النفس لحبسها عن الطعام والشراب، فيشعر بذل العبودية، فتسكن إلى ربها خاشعة، وتقف على مقدار ضعفها وعجزها، لأن العبد يشعر أثناء صومه بحاجته إلى يسير الطعام وقليل الشراب، والمحتاج إلى الشيء ذليل له.
- ١٧ - تربية النفس على القبض على زمام الرغبات النفسية التي هي سبب المعاصي كلها، لأن السعادة كل السعادة في أن يملك الإنسان نفسه، والشقاوة كل الشقاوة في أن تملكه نفسه.

الآثار الإيمانية للحج في حياة المسلم:

- ١ - تكفير الذنوب الصغائر، وتطهير النفس من شوائب المعاصي، لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)^(٢).
- ٢ - يقوى الحج الإيمان ويعين على تجديد العهد مع الله، ويساعد على التوبة الخالصة والصدق، ويهذب النفس، ويرفع المشاعر ويهيج العواطف.
- ٣ - تذكير المسلم بماضي الإسلام التليد وجهاد النبي ﷺ والسلف الصالح الذين أناروا الدنيا بالعلم والعمل الصالح.
- ٤ - تعويد الإنسان على الصبر وتحمل المتاعب.
- ٥ - تربية النفس على الانضباط والتزام الأوامر واجتناب النواهي.
- ٦ - غرس روح العبودية الكاملة في النفس، وإظهار التذلل والخضوع لله تعالى^(٣).
- ٧ - يؤدي الحج إلى تعارف أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأوطانهم، كما يؤدي إلى مذاكرة شؤون المسلمين العامة ووقوفهم صفاً واحداً أمام أعدائهم.
- ٨ - شعور الحاج بقوة الرابطة الأخوية مع المؤمنين في جميع أنحاء العالم^(٤).
- ٩ - تذكير المسلم بيوم الحشر الأكبر والهول الأعظم، لأنهم يفارقون المال

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٤٠/١٥

(٢) مسند أحمد، حديث رقم (٩٩٤٢).

(٣) ينظر: بدائع الصنائع ١١٨/٢.

(٤) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته ١٢/٣.

والأهل، ويتركون أماكن الاستيطان، ويقفون في صعيد واحد منقطعين عن
علائق الدنيا، يتساوى في ذلك غنيهم، عزيزهم وذليلهم، لا هم لهم غير
الغفران، ولا غاية سوى رحمة الرحمن.

الباب الثالث
الأخلاق في الإسلام

تعريف الأخلاق

الخلق لغة: لفظ يطلق على الطبع والسجية^(١).

وإصطلاحاً: يعرفه ابن مسكويه بأنه: "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر أو روية"^(٢).

ويعرفه الجرجاني بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"^(٣).

وهو نفس تعريف أبي حامد الغزالي الذي يقول بأنه: "هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية"^(٤).

ويستفاد من هذه التعريفات للخلق أن هذه الصفة إن لم تكن مستقرة فليست جديرة بأن تُسمى خلقاً؛ فمن كتم غضبه مرة لأمر ما لا يُسمى حليماً إن لم يكن هذا خلقه دائماً.

ومن مقتضيات تلك التعريفات كذلك: أن يتكرر الفعل بصورة دورية عند وجود ما يقتضيه فيكون هذا التكرار مؤشراً على وجود قوة راسخة ونزعة ثابتة في النفس، وأن يقوم الدليل على أن هذا الفعل صادر بصورة تلقائية عن النفس وليس تصنعاً أو استجابة لأثر خارجي كالخوف أو الحياء، وأن يصدر هذا الفعل بسهولة ويسر^(٥)، ولكن هذا لا ينفي أن للتكلف دوراً في اكتساب الخلق؛ لأن هنالك فرقاً بين الخلق والتخلق وبين الطبع والتطبع، فيكون التكلف في هذه الحالة سبباً لاكتساب الخلق.

أسس الأخلاق في الإسلام

تستند الأخلاق في الإسلام على عدة أسس فطرية، وعقلية، ووجدانية إيمانية، ومع تنوع تلك الأسس والمنطلقات إلا أنها جميعاً تعود للعناية الإلهية التي سيرت تلك

- (١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: خلق.
- (٢) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٣٦.
- (٣) الجرجاني، التعريفات، ص ١٠١.
- (٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٦٨/٣.
- (٥) كايد قرعوش، الأخلاق في الإسلام، ص ٢٠.

الأسس والمنطلقات في الإسلام؛ وهذا بخلاف التصور الإلحادي الغربي الذي يقطع صلة الأخلاق بمصدرها الديني، ونشير إلى تلك الأسس بإيجاز في النقاط التالية:

المصدر الفطري للأخلاق:

لقد خلق الله الناس على الفطر السليمة والتي تميل إلى مكارم الأخلاق وتنفر من رذائلها، ويجد الإنسان في أعماق نفسه قوة تحذره من فعل الشر إذا أغري به وهو ما يسمى دافع الضمير^(١)، ولكن هذه المسؤولية الوجدانية قد تخبو إذا لم تكن تنطلق من دافع أعظم وهو الدافع الإيماني ومراقبة الله تعالى، وهذا ما يميز المسلم عن غيره، مع اختلاف المسلمين فيما بينهم في هذه المراقبة.

ويبقى الضمير الفطري الأخلاقي قاسماً مشتركاً بين الناس، وقد أرشدت نصوص الكتاب والسنة إلى جود هذا الحس الأخلاقي وإلى هذه الفطرة السليمة الهادية إلى الخلق الحسن، قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) [الشمس: ٧ - ١٠].

وقال ﷺ مرشداً إلى هذا المصدر الفطري المميز بين الخير والشر: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس"^(٢).

وقد يلتبس على هذا الحس والضمير الفطري معرفة الخير والشر وتطغى عليها الأهواء والشهوات والشبهات، وهنا يأتي التوجيه النبوي باتقاء الشبهات لمن التبس عليه الأمر، وهو سبيل النجاة، كما أخبر النبي ﷺ بقوله: "إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام"^(٣).

المصدر العقلي للأخلاق:

فمكارم الأخلاق يستحسنها العقل السليم ويؤيدها ويحث عليها، بخلاف رذائل الأخلاق التي تعارضها الفطر والعقول السليمة، إلا إذا شابها شيء من الانحراف فأصبحت ترى المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

المصدر التعليمي المكتسب:

وهو مصدر من مصادر الأخلاق الحميدة، فالأخلاق تكتسب بالعلم والتعلم، وجاءت رسالة الأنبياء عليهم السلام لهداية الخلق إلى الصراط المستقيم وتعليمهم الخير وكل خلق حسن، وتركيتهم كما قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الجمعة: ٢].

(١) أحمد أمين، كتاب الأخلاق، ص ٦٨.

(٢) رواه مسلم، حديث (٢٣٣٥).

(٣) رواه مسلم، حديث (١٥٩٩).

وكان من دعائه ﷺ : " اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً" (١).

فالأخلاق فطرية وجدانية مكتسبة.

المصدر الإيماني الجزائي:

وهذا المصدر وإن تم تأخيره فهو المصدر الأصل في الأخلاق، فالإيمان ومراقبة الله تعالى والتطلع إلى ذلك الجزاء والثواب الذي أعده الله لمن آمن به وحسن خلقه مصدر من أعظم مصادر الأخلاق للمسلم، وما أكثر نصوص الكتاب والسنة المحفزة على عمل الخير والمهذبة لسلوك المسلم، بل ولا يستطيع الإنسان حصر تلك الآيات، ففي معرض مدح المتقين من أصحاب الصفات الخلقية العالية يقول تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

ويقول تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣].
ويقول تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) [البقرة: ٢٣٧].

ويحث جل وعلا عباده المؤمنين على خلق التواضع والإعراض عن الجاهلين، قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) [الفرقان: ٦٣].

والسنة المطهرة مصدر عظيم للتوجيهات النبوية الدالة على الأخلاق الحسنة، قال ﷺ: " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٢).

وقال ﷺ محذراً من الغش ومبيناً القاعدة الجزائية في ذلك: "من غشنا فليس منا" (٣).

فالمصدر والأساس الإيماني الجزائي في الإسلام من أعظم أسس مكارم الأخلاق في الإسلام.

(١) سنن النسائي، حديث رقم (٧٨٦٨).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٥٧٦٣).

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (١٠١).

مكانة الأخلاق في الإسلام

للأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة جليّة، ويظهر ذلك من خلال تلك النصوص المتكاثرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الداعية إلى مكارم الأخلاق والمحذرة من مساوئها^(١).

وكيف لا تكون للأخلاق الحميدة تلك المنزلة إذ كانت مقصداً من مقاصد بعثته عندما قال ﷺ: "بعثت لأتمم حسن الأخلاق"^(٢)، وفي رواية: (مكارم الأخلاق)، وقد بلغ بها الإسلام من المكانة أن قال ﷺ: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً^(٣). وقال عليه الصلاة والسلام: "إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً"^(٤).

ولا غرو أن تكون للأخلاق الحميدة تلك المنزلة في الإسلام، وقد جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق المصالح ودرء المفسدات، فجاءت للدعوة إلى كل خلق فاضل، واجتناب نقائص الأخلاق، وبالأخلاق الفاضلة بعد توحيد الله تعالى ينزل المسلم منزلة لا ينزلها غيره، وبها تتحقق مرضاة الله تعالى، والأخلاق مطلب غال في حياة الإنسان بصفة عامة، وفي حياة المسلم بصفة خاصة، يقول محمد عبدالله دراز: "قد يكون في وسع الإنسان أن يستغني طول حياته عن بعض مسائل العلم والمعرفة فلا تخطر له ببال، ولكن أحداً لن يستطيع أن يخلي همه من المسألة الأخلاقية طرف عين"^(٥).

ومن مكانة الأخلاق في الإسلام أن العبادات لا تقبل من صاحبها إن كان في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته مع الناس سيئاً ظالماً كما ورد في الحديث، قال ﷺ: "أتدون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار"^(٦).

وبعد بيان لمحة من مكانة الأخلاق في الإسلام نشير في النقطة التالية إلى حقيقة الأخلاق في المفهوم الغربي المادي.

(١) جمعت موسوعة نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين مادة كبيرة من تلك النصوص، فمن أراد الاستزادة فليطلع على هذه الموسوعة الهامة في موضوعها.

(٢) رواه مالك في الموطأ، في حسن الخلق.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٣٦٦).

(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٥٤٩).

(٥) دراسات إسلامية، ص ١٠٠.

(٦) رواه مسلم، حديث رقم (٢٨٥١).

الأصول الأخلاقية للفكر الغربي المادي

بعد أن بينا أسس ومنطلقات الأخلاق في الإسلام، يحسن بنا أن نلقي الضوء على الوجه الآخر وهو الفكر الغربي المادي، فما الأسس والمنطلقات للأخلاق في هذا الفكر؟ وما أسباب الانحلال الأخلاقي المتفشي في الغرب؟
يدعي عدد من المفكرين الغربيين أن لا صلة بين الأخلاق والدين، وينفون بذلك المصدر الديني للأخلاق.

ويزعمون أن الأخلاق منبعها مصالح الإنسان وحاجاته، وهو ما يسمى في الفكر الغربي بالأخلاق النفعية^(١)، وأن الأخلاق مسألة نسبية تختلف من مكان إلى آخر ومن زمن إلى آخر، فما يكون خلقاً حسناً في مجتمع لا يلزم أن يكون حسناً في مجتمع آخر، وما يكون قبيحاً في زمن قد يكون خلقاً حسناً في زمن آخر. فيزعمون عدم ثبات القيم بل تغيرها وتبدلها من مجتمع إلى آخر، وأن المجتمع هو مصدر تلك القيم وأن العقل الجمعي هو الحاكم على مسألة التحسين أو القبح في تلك القيم والأخلاق.

وقد روج لهذا الفكر عدد من النظريات الغربية في مختلف العلوم الإنسانية سافت تلك المجتمعات إلى انحلال خلقي كبير، ومن أبرز تلك النظريات: نظرية ميكافيلي، وسارتر، ودوركايم، وفرويد، ودافيد هيو، نيتشه، وغيرها من النظريات التي كان لها دور جلي فيما حدث من انهيار أخلاقي في المجتمعات الغربية، ونعطي نبذة مختصرة لأصول تلك النظريات ومفاسدها في الآتي:

ميكافيلي وفكرة الغاية تبرر الوسيلة:

يقول ميكافيلي (١٤٦٩-١٥٢٧ م) إيطالي، كان من أبرز كتبه كتاب "الأمير"^(٢) وهو عبارة عن توصيات للقادة والحكام أنكر فيه بصراحة تامة الأخلاق المعترف بصحتها فيما يختص بسلوك الحكام، فالحاكم يهلك إذا كان سلوكه متقيداً بالأخلاق الفاضلة لذلك يجب أن يكون ماكراً مكر الذنب ضارياً ضراوة الأسد. واستنتج أن لا يلزم الأمير أن يكون متحلياً بفضائل الأخلاق المتعارف عليها ولكن يجب عليه أن يتظاهر بأنه يتصف بها.

وتعتمد فلسفته على دراسة النجاحات البشرية في وصول الناس إلى غاياتهم ولو كانت هذه النجاحات هي من قبيل نجاحات الأشرار، فالغاية تبرر الوسائل المنافية لفضائل الأخلاق من أجل تحقيق النجاح المطلوب ومن أجل الوصول إلى الغاية المقصودة وهي الظفر بالحكم والاستئثار به.

وتدعي النظريات المادية ومنها نظرية "ميكافيلي" أن الناس لن تستقيم

(١) بودون، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ص ٥٨٠.

(٢) عبدالرحمن حبنكة، كشوف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص ٣٧٩.

حياتهم ولن يحققوا التقدم العلمي والنجاح بالنسبة للولادة والحكام إلا إذا نزعوا هذه العواطف الإنسانية من أنفسهم، وأن هذه القيم مجرد دجل وخرافات تهدف إلى رعاية الغوغاء. هؤلاء الفقراء والضعفاء الذين يعوقون التطور الإنساني – كما يزعمون – وأن على الأقوياء تحقيق أهدافهم بأي طريقة كانت ولو كان ثمن ذلك القضاء على هؤلاء الضعفاء والذين يشكلون وصمة ضعف وعار في المجتمع القوي بأكمله – كما يزعمون-.

وخليفة مكيافل في انجلترا فيلسوف يدعى هوبس (١٥٨٨-١٦٧٩) وهو صاحب نظرية تنازع البقاء. يرى أن القوة إن لم تكن روحاً للحق فهي على الأقل مقياس للحق. ونظرية كهذه لا تقيم وزناً لما هو عادل أو غير عادل بل تجعل القوة والحيلة أس الفضائل كما تجعل الحق تابعاً للقوة. ومن الذين لهم يد طولى في تثبيت فلسفة القوة الفيلسوف الألماني هيغل (١٧٧٠-١٨٣١) فهو يرى أن القوة صورة الحق وأن انتصار القوة معناه انتصار الحق ويرى أن الدولة تمثل القوة وأن على الدولة استعمال القوة للدفاع عن نفسها أو للتسلط على الغير من دون عدل ولا رأفة^(١).

فرويد ومدرسته في علم النفس:

سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩م) يهودي نمساوي مؤسس مدرسة التحليل النفسي^(٢).

أسس نظريته:

- (١) الإلحاد بالله وإنكار الغيبيات، وإنكار الخالق والدين والأخلاق.
- (٢) الإباحة الجنسية، وأن سلوك الإنسان أساسه الدافع الجنسي.
- (٣) الكبت في مرحلة الطفولة وأثر كبت الغرائز الجنسية في الإصابة بالأمراض والاضطرابات العصبية والتي قد تؤدي إلى نشأة العقد النفسية – كما يدعي .

من الآثار السلبية لهذه النظرية:

- (١) كثرة الإيماءات الداعية إلى الانحلال والتي أوردتها في كتبه، ومن تلك الكتب: (تفسير الأحلام)، (مدخل إلى التحليل النفسي)، (ثلاث رسائل في نظرية الجنس)، (الذات والغرائز)، (القلق).
- (٢) تبرير عشق المحارم والزنا بهن.
- (٣) محاربة الدين.
- (٤) إيهام أصحاب الأفعال الشاذة المحرمة أن ما يقومون به عمل طبيعي مشروع لا

(١) عبدالرحمن حبنكة، كشوف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص ٣٨٠.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٨٢٢/٢.

غبار عليه^(١).

(٥) خدمته للصهيونية في محاربة الدين والأخلاق ونشر الإلحاد وإشاعة الفساد في الأرض.

جاءت دعوة فرويد إلى الانحلال الأخلاقي والإباحية الجنسية منافية للفطرة السليمة وللشرائع الربانية والأوامر الإلهية الداعية إلى العفة وحفظ النسل، والمحرمة من الوقوع في الفواحش والفساد، وشرعت محاربة الأسباب المفضية للوقوع في هذه الجريمة قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) الإسراء ٣٢

ولقد أثبت بطلان هذه النظرية وما تدعو إليه من فساد وانحلال أخلاقي ما وصلت إليه المجتمعات الغربية من فساد وانتشار للجريمة وللأمراض الفتاكة الناتجة عن تلك الدعوات الإباحية.

وكان من نتاج دعوة فرويد إلى الرذيلة ما أحدثته من مزار إجتماعية خطيرة في المجتمعات الغربية كاختلاط الأنساب وفقدان الرابطة الأسرية الحقيقية وما جلبته تلك الفوضى الجنسية من اضطرابات نفسية وجرائم أخلاقية.

(١) علاء بكر، مذاهب فكرية في الميزان، ص ٣٠٠.

إميل دور كايم ونظرية العقل الجمعي:

يهودي فرنسي تخصص في علم الاجتماع (١٨٥٨-١٩١٧م) بل ويعتبر
المؤسس الثاني لهذا العلم بعد أستاذه الفرنسي "أوجيست كونت".
من مؤلفاته: (تقسيم العمل في المجتمع)، و(قواعد المنهج الاجتماعي)،
(الانتحار)، و(الأشكال الأولية للحياة الدينية)^(١).

أراد هدم الدين والأخلاق، إذ زعم في فلسفته العقل الجمعي أن العقل المشترك
للجماعة الواحدة هو مصدر الدين والأخلاق والموجه لكل فرد والمكون لأفكار الأفراد
ومذاهبهم^(٢)، وبناء على ذلك يتم تفسير الظواهر الاجتماعية تفسيراً مادياً لا يعترف
بالله مع إنكار الغيب، وأن الإنسان يكون أسيراً لأحكام العقل الجمعي مسلوب الإرادة
والحرية الفردية.

وأن العقل الجمعي دائم التغيير يُحل اليوم ما كان حرمة بالأمس والعكس كذلك
دون ضابط ولا منطوق ولا معقول؛ فلا يمكن بمقتضى سلطان العقل الجمعي المتغير
تصور ثبات شيء من القيم إطلاقاً، فلا الدين ولا الأخلاق ولا سائر القيم لها ثبات بل
هي متغيرات بسلطان العقل الجمعي - كم يزعم -.
وتدعي هذه النظريات المادية وغيرها أن الدعوة إلى الفضائل أمراض اجتماعية
وأنها من مزاعم رجال الدين.

ولهذا تنكر المادية على الديانات جميعها هذه المشاعر الإنسانية التي يعمل
الدين على غرسها وتنميتها في نفوس المتدينين من الرحمة والمودة والإيثار
والعطف والإحسان والتكافل وكل ما يشيع في كيان الإنسان من عواطف إنسانية نحو
أهله وقرابته ومجتمعه والإنسانية كلها بل عالم الحيوان أيضاً.

موقف نيتشه من الأخلاق:

يدعى الفيلسوف الألماني " نيتشه " أن الرحمة والتعاون والحب وكافة الفضائل
التي تنادي بها الأديان هي مجموعة من الدجل والخرافات تستهدف رعاية الغوغاء
والدهماء والقطعان - وهؤلاء جميعاً هم فقراء ومرضى وضعفاء يعوقون التطور
الإنساني - في حين أنه يجب أن نخلص لنوعنا البشري بأن نبقي على
الأقوياء في الذهن والجسم والروح ونعمل على إفناء الآخرين^(٣).

هذه بعض مزاعم وأصول الفكر الغربي الأخلاقية وما تمثله من انتكاسة في
الفطرة ومحاربة للدين ومنافاة للعقول السليمة، ولنتعرف على جانب من خصائص
الأخلاق في الإسلام في التالي:

(١) بودون بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ص ٢٩٧.

(٢) محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني، ص ١٠٥.

(٣) عبدالرحمن حبنكة، كشوف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص ٤٦٨.

خصائص الأخلاق في الإسلام:

بعد أن بينا منطلقات وأصول الأخلاق المادية الغربية يحسن بنا أن نبين عدداً من خصائص ومزايا الأخلاق في الإسلام في النقاط التالية:

١ - ربانية المصدر:

وهذه من أحسن محاسن الأخلاق في الإسلام أن تستمد مشروعيتها ومصدريتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فليست إنسانية المصدر كما هو حادث في أصول الأخلاق الغربية المادية كما بينا ذلك.

٢- ومن أبرز سمات الأخلاق في الإسلام الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق، إذ أن العبادة تزكي نفس صاحبها وتوجه سلوكه توجيهاً شفافاً متورعاً عن المحرمات، وتهذب أخلاقه وتقومها باستمرار^(١).

يقول تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [العنكبوت: ٤٥].

فالصلاة إذا أقيمت على الوجه الذي أمر الله به تنهى مؤديها عن الفحشاء والمنكر، وأما إن كانت غير ذلك فيكون فعلها وبالأعلى صاحبها، كما قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) [الماعون: ٤ - ٧].

والصوم جنة ووقاية لصاحبه، كما أخبر النبي ﷺ: "الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم"^(٢).

والزكاة تطهير للنفس والمال، قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) [التوبة: ١٠٣].

وبهذا نرى ذلك التلازم بين العبادات والأخلاق في الإسلام لا كما هو الحال في المجتمعات المادية التي أشرنا إلى شيء منها.

٣ - الشمول:

ومن مزايا الأخلاق في الإسلام شمولها لشؤون الحياة كلها، فهي ذات صلة بالعقيدة والعبادة والمعاملات ومختلف العلاقات^(٣).

ففي مجال العقيدة يرد خلق الإخلاص والصدق بعيداً عن الرياء والنفاق، وفي العبادة أشرنا إلى أمثلة من ذلك يأتي في مقدمتها إخلاص العبادة لله تعالى، وفي

(١) محمد الناصر، أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، ص ٢٩٥.

(٢) روه البخاري، حديث (١٧٩٥).

(٣) كايد قرعوش، الأخلاق في الإسلام، ص ٥٣.

مجال المعاملات يأتي خلق الحياء والصبر، وفي كل مجال من مجالات الحياة.

٤ - العبودية:

ومن خصائص الأخلاق في الإسلام ابتغاء وجه الله تعالى والفوز برضوانه، وهي سبب موصل إلى أعالي الجنان يوم القيامة، وليست أخلاقاً نفعية كما هو الحال في الحضارات الأخرى، لا يقصد بها إلا تحقيق مصالح دنيوية.

٥ - الوسطية والاعتدال:

فالأخلاق الإسلامية أساسها التوازن والاعتدال بين حظوظ الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص: ٧٧].

وقال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) [الأعراف: ٣١].
فجاء الإسلام وسطاً بين اليهود الذين أسرفوا في عبادة المال والسعي لتحصيله بأي وسيلة مشروعة وغير مشروعة، وبين رهبان النصارى الذين سلكوا رهبانية ابتدعوها وعزفوا عزوفاً تاماً عن الحياة الدنيا - كما زعموا - مع أن أصل حالهم خلاف ذلك.

٦ - الثبات:

فالأخلاق والمعايير الأخلاقية في الإسلام لا تتغير ولا تتبدل مع الزمان أو المكان، كالنسبية في الأخلاق المادية والتي يكون فيها الحسن اليوم قبيحاً غداً، وما يكون خلقاً حسناً في مجتمع لا يلزم أن يكون ذلك خلقاً حسناً في مجتمع آخر، فتتغير وتتبدل مع تبدل الزمان والمكان، وهذا ما لا نجده في صفات الأخلاق في الإسلام، فالصدق صفة مدح منذ أن امتدح الله الصادقين في كتابه إلى يوم القيامة، وغيرها من الصفات والأخلاق الفاضلة، وكذلك مساوئ الأخلاق والرذائل التي حذر منها الإسلام لا تصبح يوماً من الأيام خلقاً حسناً.

الوسائل التربوية لاكتساب الأخلاق الفاضلة

ذكرنا عند بيان أسس ومنطلقات الأخلاق الحسنة بأنها: إيمانية، وجدانية، فطرية، مكتسبة، فكيف تكتسب الأخلاق الفاضلة؟ وما الوسائل والأسس التي يلزم اتباعها لمن أراد أن ينال فضل تلك الأخلاق الفاضلة، ويرقى بنفسه إلى مصاف محاسن الأخلاق وينأى بنفسه عن رذائلها، هناك أساليب عديدة نذكر منها ما يلي:

١ - الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذه أهم وأشمل وسيلة يسلكها المسلم لاكتساب الأخلاق الفاضلة، فما وجدت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أوامر وتوجيهات إلهية فخذ بها والتزم بها، وما وجدت فيها من نواهٍ فابتعد عنها^(١).

٢ - الطمع في مرضاة الله والخوف من عقابه، فهذا سبيل المسلم في كل شؤون حياته من عبادات وشرائع ومعاملات وسبل كسب الأخلاق الفاضلة، واستحضار منزلة الأخلاق الفاضلة ومكانتها، وما أعده الله لأهلها من الثواب الجزيل يعين على الصبر والمصابرة والتخلق بالخلق الحسن.

٣ - تعلم الأخلاق الفاضلة، والتدرب عليها، فكم من الناس لا يعلم أسس الأخلاق الفاضلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو ما قعده العلماء من قواعد وأسس استنبطوها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يتوصل إليها إلا بالقراءة والتعلم، ومع القراءة والتعلم والإطلاع يحتاج الإنسان إلى تدريب ومجاهدة نفسه على تطبيقها وتكرارها، والتدرب عليها حتى تصبح عادة يسهل عليه أداؤها من غير بذل جهد، وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي: "الطريق إلى تزكية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة حتى إذا صدر ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان حدث منها هينة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها بحيث يصير ذلك له بالعادة كالطبع"^(٢).

٤ - القدوة الحسنة:

ولا أعظم من أن يتخذ المسلم رسول الله ﷺ قدوة حسنة في حياته كلها، كما أرشدنا الله تعالى إلى ذلك، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: ٢١].

ويأتي من بعده ﷺ قراءة سير وتراجم الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، فقراءة سير الصالحين ترفع الهمم، وتعلو بالأخلاق، وتهذب السلوك، إضافة إلى الاقتداء بالصالحين من المعاصرين، ولا شك أن تأثير القدوة المشاهدة يكون ذا أثر

(١) عبدالله الرحيلي، الأخلاق الفاضلة، ص ٧٤.

(٢) الغزالي، ميزان العمل، ص ٤٧، ٤٨.

كبير في المتلذذ على أصحاب الخلق الفاضل في سلوكهم وحديثهم، وما حققوه من نجاحات وإنجازات في حياتهم.

٥- الرفقة والبيئة الصالحة:

وهذه من المؤثرات الهامة في حياة الإنسان سواء إلى الخير أو إلى الشر والعياذ بالله، فمن أراد أن يكتسب الأخلاق الفاضلة فليحسن انتقاء الجليس الصالح الذي يدلّه على الخير ويبتعد عن جليس السوء الذي يورده المهالك، وكما أخبر النبي ﷺ في تمثيله لأثر الجليس الصالح والجليس السوء قال ﷺ: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير..." (١) الحديث.

ورفقاء السوء ضلال في الدنيا وخزي وندامة وعداوة في الآخرة، كما أخبر الله تعالى: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف: ٦٧].

وما أكثر رفقاء السوء الذين يضلون الناس عن طريق الرشاد، كما أخبر جل وعلا: (وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

ولا شك أن البيئة المحيطة بالفرد أفراداً وجماعات لها الأثر الكبير في مسيرة حياته فليختر المسلم رفقاء ومجتمعاً يعينه على طاعة الله تعالى، ومن ذلك اكتساب الأخلاق الفاضلة.

٦- مجاهدة النفس:

النفوس جُبلت على حب الراحة والكسل والتفلت من القيود والتكاليف، ومن أراد معالي الأمور يلزمه مجاهدة نفسه وأطرها على الخير أطراً، فلا هداية ولا نجاح في الدنيا والآخرة دون مجاهدة للنفس، كما أخبر الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: ٦٩].

وقد أخبر النبي ﷺ أن طريق الجنة وما يؤدي إليها من أعمال صالحة بما في ذلك مكارم الأخلاق محفوف بما يشق على النفس مشقة محتملة تحتاج إلى مجاهدة، كما قال ﷺ: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ" (٢).

إن من يريد عظيماً ويرمو معالي الأمور يلزمه التميز عن غيره بالمجاهدة وبذل الثمن المناسب، من جهد وعزم وتضحيات، وإلا لاستوى الناس جميعاً في فرص الوصول إلى المعالي من عمل ومن لم يعمل.

ونكتفي بهذه النقاط أمثلة للوسائل والأساليب التربوية والإيمانية لاكتساب الأخلاق الفاضلة، وإلا لو أردنا استقراء معظم الوسائل والأساليب لطلنا بنا المقام، ولا شك أن لدور التربية والتعليم وقبلها المنزل دوراً هاماً في إكساب الأخلاق الحميدة بجانب ما ذكر من أساليب تدخل في المسؤولية الفردية المنبعثة من الشخص نفسه

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٥٢١٤).

(٢) رواه مسلم، حديث رقم (٢٨٢٢).

لمن أراد التخلق بالأخلاق الحسنة.

وصايا وقواعد أخلاقية:

وإليك أيها الحبيب بعض الوصايا والقواعد الأخلاقية والمختصرة من كتاب الأخلاق الفاضلة^(١).

- ١- عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به، كما في الحديث الصحيح: "وليات إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"^(٢).
- ٢- أحب للناس ما تحب لنفسك وكره لهم ما تكره لها.
- ٣- إذا أردت تهذيب نفسك فيمكنك مخالطة الناس: فما كرهت منهم من أخلاق فابتعد عنه؛ فإنهم يكرهون منك ما تكره منهم.
- ٤- لا تكتف بنقد أخلاق الآخرين وتنس نفسك، بل اشتغل بنقد نفسك أولاً، لأنك مكلف بها أولاً، ثم اشتغل في إصلاح الآخرين.
- ٥- تذكر أن عليك واجبات، كما أن لك حقوقاً، وليكن همك البحث عما عليك من واجبات وأدائها، فذلك شرط لتحصيل حقوقك.
- ٦- إذا أردت الاجتهاد في تحصيل الأخلاق الحميدة، فعليك أن تعلم فضلها وفوائدها في الدنيا والآخرة، لتعرف أي شيء تطلب.
- ٧- بإمكانك التعرف على حقيقة أخلاقك بالنظر إليها في الحالات الآتية: - إذا خلوت. - إذا غضبت. - إذا احتجت. - وإذا استغنيت. - وإذا قدرت.
- ٨- اعلم أن عليك أخلاقاً ينبغي أن تلتزم بها مع أعدائك، كما أن عليك أخلاقاً تلزمها تجاه أصدقائك.
- ٩- إذا ساءك تصرف أخيك تجاهك، فلا تسلم لما يهجم على قلبك مباشرة من تخطئه ونقده والغضب منه، بل اتهم نفسك أولاً، وحاكمها، فلعلك المخطئ فإن لم يظهر لك خطوك، فالتمس لأخيك عذراً لعل له عذراً وأنت تلوم.
- ١٠- لا تلتمس لنفسك الأعذار في الأخطاء الصغيرة، فإنها طريق لما هو أكبر منها.
- ١١- لا يغرك حسن أخلاقك في الرخاء، حتى تُربّ نفسك في أوقات الشدة والغضب وسائر الحالات التي تشتد فيها الحاجة إلى الأخلاق الفاضلة، فإن لم يطرده حسن أخلاقك في تلك الأحوال فاعلم أنه ليس لك كبير فضل في وقت الرخاء.
- ١٢- لا تتخذ لك أماً بشرط أن لا يخطئ، وإذا أخطأ أخوك مرة، فأنهيت ما بينك وبينه، فكان شرطك في أخوته أن لا يخطئ، فلن تجد لك أماً إذن، وأنت أيضاً لا تصلح للأخوة بهذا الشرط، لأنك لست معصوماً، كما أن غيرك ليس بمعصوم.

(١) عبدالله الرحيلي، الأخلاق الفاضلة، ص ٦٣ - ٧٤.

(٢) روه مسلم، حديث رقم (١٨٤٤).

- ١٣- من الاستعداد لما يُنتظر أو يتوقع في الغيب، بعد التوكل على الله، وأخذ الأسباب المشروعة، توطين النفس على أسوأ الاحتمالات فإن ذلك مفيد جداً، لما فيه من التمهيد لقبول النفس لأقدار الله تعالى المؤلمة وتحملها.
- ١٤- ينبغي أن تتعلم الأخلاق الفاضلة وذلك بدراستها نظرياً من مصدرها الصحيح، والتعود عليها عملياً بتطبيقها ومحاسبة النفس عليها دائماً، ومصاحبة أهلها.
- ١٥- ولتعلم أن الدراسة لها نظرياً وحدها لا تكفي، والتطبيق لها مرة واحدة أو مرتين أو وقتاً قصيراً في حياتك، لا يكفي أيضاً، بل لابد من التطبيق المستمر والملازمة لها دائماً لتكون حقيقياً بوصفك بالأخلاق الفاضلة.
- ١٦- الكرم والصبر والحلم والرحمة، ونحوها من الأخلاق، لا تأتي دفعة واحدة، كما أنها لا تدرك بسهولة، ولا تدرك في وقت قصير، بل تحتاج إلى وقت طويل، وإلى تدرج، ومران وصبر وتضحية، ولكنها أخلاق ضرورية نفسية، فتستحق أن يبذل فيها الثمن، والله المستعان.
- ١٧- كن مع الناس كالنحل، الذي يقع على أحسن الزهور وأطهر الزروع، فيجتني منها ما يفيد، وما يخدم به الناس، ودع مساوئهم وأخطائهم، ولا تكن كالذباب، الذي يقع على أذى الأشياء وينشرها في الناس ويؤذي بها الأحياء.
- ١٨- يظن الحسود والنمام والمغتتاب والفاحش البذيء، يظن هؤلاء جميعاً أنهم ينتقمون من الآخرين وينسون أنهم إنما يلحقون الضرر بأنفسهم في الدنيا قبل الآخرة وفي العاجل قبل الآجل، إذ يعود عليهم ذلك الصنيع بأمراض النفس والبدن، وعذاب الدنيا وعذاب الآخرة.
- ١٩- أنت أعرف بنفسك، فلا تغتر بمدح الناس إذا مدحوك.
- ٢٠- أقصر الطرق لقضاء الحاجات، التوجه إلى الله تعالى.
- وخلاصة الأمر إذا أردت اكتساب الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق السيئة فعليك باستعراض ما في القرآن الكريم، فما وجدت فيه من أوامر وتوجيهات إلهية فخذ به، وما وجدت فيه من نواهٍ فابتعد عنه.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق وتعليق: علي بن حسن بن ناصر، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكري، وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ٢- ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ.
- ٣- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ومراجعة: الشيخ عبد العزيز بن باز، الثلاثة الأجزاء الأولى، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ٤- ابن حنبل، الإمام أحمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠-١٩٩٩م.
- ٥- ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، دار المعرفة، بيروت.
- ٦- ابن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٧- ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٤، ١٤٢١هـ.
- ٨- ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤١٥هـ.
- ٩- ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فتاوى العقيدة: جمع وترتيب: فهد بن ناصر السلیمان، دار الثريا للنشر، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.
- ١٠- ابن قيم الجوزية، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- ١١- ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، راجعه وعلق حواشيه سيف الدين الكاتب، مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.
- ١٣- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ١٤- أبو الحسن الندوي، الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم الحج) في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى، دار القلم، الكويت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- ١٥- أبو داود، سنن أبي داود، دراسة وفهرسة: كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

- ١٦- أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٦٦م.
- ١٧- أحمد التهامي بوطبه، الصلاة في الأديان الثلاثة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ١٨- أحمد أمين، كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.
- ١٩- أحمد حجازي السقا، الأرواح وحياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب، مكتبة الناظرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٢٠- أحمد شلبي، المسيحية، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٨م.
- ٢١- أحمد شلبي، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ١٩٩٧م.
- ٢٢- أحمد عبدالوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ٢٣- أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٢٤- أحمد غنيم، فلسفة الصيام في الديانة اليهودية والنصرانية، وفي الإسلام، دراسة تقارنية في المصادر العليا للأديان الثلاثة، مطبعة حسان، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٢٥- الارشمندرت الإلياس، العبادة المسيحية، مكتبة السائح، طرابلس، ١٩٨٥م.
- ٢٦- الإمام القرطبي، الإعلان بما في دين النصارى من الفساد والأوهام
- ٢٧- أندريه نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ٢٨- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مطبوع مع فتح الباري، تحقيق ومراجعة: الشيخ عبد العزيز بن باز، الأجزاء الثلاثة الأولى، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٠م.
- ٢٩- الترمذي، السنن عن رسول الله -ﷺ-، بتحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- ٣٠- التفسير الحديث للكتاب (المقدس)، العهد الجديد، إنجيل "متى"، تأليف: "ر. ت. فرانس"، ترجمة: أديبة شكري، راجعه: نكلس نسيم، دار الثقافة، القاهرة.
- ٣١- حسن ظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، دار القلم دمشق، دار العلوم بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣٢- حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ٣٣- حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعياريها بين الوضعية والدين، دار القلم، الكويت.
- ٣٤- رفعت فوزي عبدالمطلب، الصوم: أحكامه وأثره في بناء المجتمع الإسلامي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- ٣٥- رفعت فوزي عبدالمطلب، العبادات: أحكامها وبيان آثارها في بناء المجتمع الإسلامي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- ٣٦- السيد محمد عاشور، الصوم في الشريعة اليهودية، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة.
- ٣٧- الطبراني، المعجم الكبير، مراجعة: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- ٣٨- الطحاوي، شرح معاني الآثار، حققه وعلق عليه محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، ط ١، عام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، بيروت لبنان.
- ٣٩- عادل ضاهر، نقد الفلسفة الغربية الأخلاق والعقل، دار الشروق، عمان، ط ١، ١٩٩٠م.
- ٤٠- عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، راجع حواشيه وصححها وعلق عليها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.
- ٤١- عبد الله بن محمد الطيار، الصلاة، دار الوطن، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ٤٢- عبدالرحمن بك باجه جي زاده، الفارق بين المخلوق والخالق، وبهامشه الأجوبة الفاخرة للقرافي، وهداية الحيارى لابن القيم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٤٣- عبدالرحمن حبنكة، العبادة في الإسلام، الريان للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٤٤- عبدالرحمن حبنكة، كشوف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤١٩هـ.
- ٤٥- عبدالرزاق الموحى، العبادات في الديانة المسيحية، الأوانل للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ٤٦- عبدالرزاق الموحى، العبادات في الديانة اليهودية، الأوانل للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ٤٧- عبدالعزيز محمد عزام، مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، دار الحديث، القاهرة.
- ٤٨- عبدالودود مكروم، القيم في الفكر الغربي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ٤٩- علاء بكر، مذاهب فكرية في الميزان، دار العقيدة.
- ٥٠- علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.
- ٥١- عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، دار النفائس، الأردن، ط ١٠، ١٤١٥هـ.
- ٥٢- فتحي محمد الزغبى، تأثير اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، طنطا، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٥٣- فرانس ر. ت.، التفسير الحديث للكتاب (المقدس)، العهد الجديد، إنجيل "متى"، ترجمة: أدبية شكري، مراجعة: نكلس نسيم، دار الثقافة، القاهرة.

- ٥٤ - فرج الله عبدالباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة، مصر.
- ٥٥ - القرافي، الأجوبة الفاخرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ٥٦ - القرضاوي، يوسف، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٥٧ - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.
- ٥٨ - القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٥٩ - الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- ٦٠ - كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، دار المناهج، عمان، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- ٦١ - الكتاب (المقدس)، دار الكتاب (المقدس) في الشرق الأوسط.
- ٦٢ - مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فتاوى العقيدة، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٦٣ - محمد أحمد الخطيب، دراسات في العقيدة الإسلامية، دار عمار، عمان، ط٤، ١٤١٦هـ.
- ٦٤ - محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ٦٥ - محمد الناصر، أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، دار الرسالة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٦٦ - محمد الهواري، الصوم في اليهودية، دراسة مقارنة، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٦٧ - محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٧٨م.
- ٦٨ - محمد بيسار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٦٩ - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ٧٠ - محمد خليفة حسن أحمد، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، القاهرة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٧١ - محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، بيروت.
- ٧٢ - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- ٧٣ - محمد علي البار، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- ٧٤- محمود الخالدي، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، دار الفكر، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ.
- ٧٥- مصطفى فوزي غزال، فضائح الكنائس، والبابوات، والقسس، والرهبان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ٧٦- من أحكام الصلاة للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ٧٧- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي.
- ٧٨- مودون وف، بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٧٩- موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة.
- ٨٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٨١- موسى الزغبى، كيف زيف اليهود الكتب المقدسة، المنارة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٨٢- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٨٣- همام سعيد، الوجيز في الثقافة الإسلامية، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ، عمان.
- ٨٤- هيلين إيريبي، الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ترجمة: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ٨٥- وهبي سليمان غاوجي، أركان الإسلام، دار البشائر، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- ٨٦- يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ٨٧- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط٦.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
٣	التمهيد
٣	أبرز أهداف تدريس مادة الثقافة الإسلامية
٤	تعريف الثقافة
٤	الثقافة لغة
٤	المعنى الاصطلاحي للثقافة
٥	معنى الثقافة في المجتمعات الغربية
٦	المعنى الاصطلاحي للثقافة في الفكر الإسلامي
٨	الباب الأول: العقيدة الإسلامية وأركانها
٩	مفهوم العقيدة الإسلامية
٩	تعريف العقيدة لغة
٩	في الاصطلاح
١١	أهمية العقيدة ومكانة علم التوحيد
١٣	أسس العقيدة وأركان الإيمان
١٤	الإيمان بالله تعالى
١٤	الإيمان بوجود الله
١٦	توحيد الربوبية
١٨	توحيد الألوهية
٢١	توحيد الأسماء والصفات
٢١	قواعد في أسماء الله تعالى
٢٣	قواعد في صفات الله تعالى
٢٦	أقسام الفرق المنتسبة للإسلام في باب الأسماء والصفات
٢٦	تصور اليهود للذات الإلهية
٢٨	مزاعم النصارى في ألوهية المسيح عليه السلام وحكم القرآن عليهم
٢٩	مزاعم اليهود والنصارى في الصلب والخطيئة
٣١	ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته
٣٢	الإيمان بالملائكة
٣٥	ثمرات الإيمان بالملائكة
٣٦	الإيمان بالكتب
٣٧	موقفنا من أحكام الشرائع السابقة
٣٧	التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل
٣٨	ثمرات الإيمان بالكتب

الإيمان بالرسول	٣٩
من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم	٤١
حقيقة محبة الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٢
ثمرات الإيمان بالرسول	٤٤
تصور اليهود لأنبياء الله ومكانة أنبياء الله في التشريع الإسلامي	٤٤
الإيمان باليوم الآخر	٤٧
فتنة القبر وسؤال الملكين	٤٨
عذاب القبر ونعيمه	٤٨
البعث والنشور	٥٠
الرد على منكري البعث	٥١
الحشر	٥٣
بعض معالم أهوال القيامة	٥٤
أحوال الناس يوم القيامة	٥٥
حال الكفار يوم القيامة	٥٥
حال عصاة المؤمنين	٥٥
حال الأتقياء يوم القيامة	٥٦
الشفاعة	٥٧
شروط الشفاعة	٥٨
محاسبة الخلائق على أعمالهم	٥٨
الوزن	٥٩
اقتصاص المظالم بين الخلق يوم القيامة	٦٠
نشر الكتب	٦٠
الحوض	٦١
الصراط	٦١
دخول الجنة أو النار	٦٢
اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية	٦٢
الموت في التصور اليهودي والنصراني	٦٥
البعث في اليهودية	٦٧
الحساب عند النصارى	٦٨
الشفاعة عند اليهود	٦٨
الشفاعة في التصور النصراني	٦٩
الإيمان بالقدر خيره وشره	٧٠
فوائد الإيمان بالقضاء والقدر	٧٢
الباب الثاني: العبادة في الإسلام	٧٤
أولاً: تعريف العبادة	٧٥
العبادة في اللغة	٧٥

٧٥	العبادة في الاصطلاح
٧٦	ثانياً: شروط العبادة في الإسلام
٨٧	ثالثاً: خصائص العبادة في الإسلام
٨٧	١- ربانية المصدر
٧٩	٢- العموم والشمول في العبادات الإسلامية
٧٩	٣- اليسر ورفع الحرج
٨٣	٤- الثبات وعدم التبديل والتغيير
٨٦	٥- الوسطية والاعتدال
٨٨	٦- الوضوح والبيان في العبادات الإسلامية
٩١	٧- نفي الوسطاء بين العبد وربه
٩٣	رابعاً: الآثار الإيمانية والتربوية للعبادات في حياة المسلم
٩٣	الآثار الإيمانية والتربوية للصلاة في حياة المسلم
٩٥	الآثار الإيمانية والتربوية للزكاة في حياة المسلم
٩٨	الآثار الإيمانية والتربوية للصيام في حياة المسلم
١٠٠	الآثار الإيمانية والتربوية للحج في حياة المسلم
١٠١	الباب الثالث: الأخلاق في الإسلام
١٠٢	تعريف الأخلاق
١٠٣	أسس الأخلاق في الإسلام
١٠٣	المصدر الفطري للأخلاق
١٠٤	المصدر العقلي للأخلاق
١٠٤	المصدر التعليمي المكتسب
١٠٥	المصدر الإيماني الجزائي
١٠٦	مكانة الأخلاق في الإسلام
١٠٧	الأصول الأخلاقية للفكر الغربي المادي
١٠٨	مكيافيلي وفكرة الغاية تبرر الوسيلة
١٠٩	فرويد ومدرسته في علم النفس
١١١	إميل دور كايم ونظرية العقل الجمعي
١١٢	موقف نيتشه في الأخلاق
١١٣	خصائص الأخلاق في الإسلام
١١٣	١- ربانية المصدر
١١٣	٢- الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق
١١٤	٣- الشمول
١١٤	٤- العبودية
١١٤	٥- الوسطية والاعتدال
١١٥	٦- الثبات
١١٦	الوسائل التربوية لاكتساب الأخلاق الفاضلة

١١٩	-----	وصايا وقواعد أخلاقية
١٢٢	-----	فهرس المصادر والمراجع
١٢٦	-----	فهرس الموضوعات